المـــادة والخلــق

جنبـا الى جنب

***



بقلم محمد اديب العامري

من الاقوال التي نطالعها كثيراً فى الصحف والمجلات وبعض الكتب ، وفى تصاريح بعض رجـال الفكر والسياسة ، قولهم ان العلم البشري والاسباب المادية تتقدم الىامام بخطوات واسعة سريعة فى حين يسوء الخلق الانساني يوما عن يوم ، او هو لا يتطور عن حاله ، او لا يتقدم تقدم العلم والمـادة فى اتساع خطواتهما وسرعتهـا .

يذكر القارىء الكريم ذلك ، لانه كثيرا ما يطالعه ويسمعه . وانا واثق من انه سيطالعه ويسمعه فى المستقبل ايضا. وان كنت اعتقد ان مطالعته له واستماعه اليه سيقلان يوما عن يوم ، حتى يرى عدد كاف من الناس ان هذا القول غير صحيح ، بتة ، او انه غـير صحيح الى القدر الذي يصرحون به ، على اقل تقدير .

اجل ان العلم المادي قد تطور تطورا سريعا واسعا خلال القرنين الماضيين ، بل ان التطور الذي وقع خلال هذه الفترة القصيرة يفوق فى اهميته وسرعته جميع ما توصل اليه الانسان خلال الحقب الطويلة التي عاشها ، منـذ ان اصبح «انسانا» يعرف نفسه ويفهم التاريخ .

ولكن الخلق البشري لم يتطور اقل من ذلك ، عـلى التحقيق .

ان مدى التطور العلمي « المادي » يقع فى معظمه بـين الثورة الصناعية والتفجيرات الذرية ، تلك التفجيرات التي رفعت انسانا فى الشهر الاسبق (١٢ نيسان) الـى الفضاء ودارت به حول الارض . فنستطيع ان نقسم هذا المدى الى قسمين : ١ ــ قسم بين فجر القوة الميكانيكية وفجر القوة الذرية ، ٢ ــ وقسم يقع بين فجر الذرة وبين ما بعده . هو مدى شاسع ولا ريب . ونحن هنا انما رمزنا له رمزا ولم نتقصه تقصيا ، فالمدى واسع ايضا بين اكتشاف الخلية والمحاولات الاخيرة التي تجري لتكوين هذه الخلية ــ الحية . وقس على ذلك فى العلوم الاخرى التي ترنو ببصرها الى امام ــ الى خدمة الرفاهية المادية للبشر وتحرير نفوسهم وتدعيم قوتهم .

ولكن مدى التطور الخلقي يشبه ذلك سعة وسرعة كذلـك .

ففي اواخر القرن الماضي كانت البشرية مقيمة ما تزال على نظام الرق ــ استعبـاد الانسان للانسان وبيعه اياه فى سوق النخاسة. اما اليوم فان هذا «النظام» يلفظ اخر انفاسه .

وفى مطلع هذا القرن كانت عملية «حق الفتح» ــ الرق الجماعي ــ تلك التي تستعمر بهـا دولة بلادا اخرى بالقوة القاهرة ما تزال عملية سياسية « طبيعية » يخضع لها معظم البشر منكسين رؤوسهم غاضين ابصارهم ، يظنونها قضاء من القضاء او قدرا من القدر . امـا اليوم فيتحدث البشر انفسهم عن زوال الاستعمار وانتها عهده ، انتهاء لا يتحدثون بعده عـن رجعة او ردة ، بل يتطلعون الى يوم من الحرية شامل ابلج ، يتمتع فيه كل انسان بكرامته

البشرية ، تلك الكرامة التي يتفتق معناها لاول مرة عن معنى ثابت لا يزول .

واذا تحدثنا بصورة مجملة عن تجارة الرقيق الابيض والمخدرات العالمية والتفسخ الخلقي والقرصنة التجارية وما شاكلها ، لاح للقارىء في سهولة ويسر كيف تتقلص مظاهر هذه العبودية النفسية ، فردية وجماعية ، في وقت قصير . فهي بعد ان كانت مظاهر من تاريخ الانسان وخلقه منذ القدم اخذت تنقشع في سرعة كمثل السرعة التي انقشعت بها غيوم الجاهلية العلمية المادية خلال الفترة الاخيرة من الزمن .

ويجب ان لا ننسى بعد ذلك تطور الخلق الشخصي والجماعي التفصيلي . فنحن اليوم اعلم بأثر الصدق في التجارة والتعامل واكثر تقديرا لمقتضيات الحياة الاجتماعية واكثر احتراما لسيادة القانون ، الذي لم يكن له وجود يذكر في النواحي التطبيقية منذ قرون قليلة .

ولا تغرنك ظاهرات كظاهرة « الغريب » التي شرحها لنا الكاتب الانجليزي المعاصر كولن ولسن ، وهي ظاهرة الفشل والخواء الذي يجد نفسه فيه احيانا الانسان المعاصر ، فما سبب هذه الظاهرة الا تقصير بعض الناس ، وقد يكونون عباقرة في بعض جوانبهم ، عن رؤية الهدف الايجابي الذي يهدف اليه ركب الحياة ، او يهدف له الناس الذين يحيون هذه الحياة .

واما ظاهرة اخرى كظاهرة « المراهقة » هذه التي تخلق شطحا مثل شطط « الوجودية » او « فنا » مثل فن بريجيت باردو او فرانسواز ساغان ، او رقصا مثل رقص الروك اند رول ، فليست كل منها الا جائحة من جائحات الفراغ او الخواء الذي يجده الشباب في حياتهم ، وقد شرد منهم الهدف في هذه الحياة . لكنها جائحات لا تلبث ان تتحطم على صخرة الخلق العلمي الواعي للمدنية المعاصرة التي تقود الانسان من نصر الى نصر ومن حرية الى حرية .

بل انا اعتقد ان تطور الخلق البشري جزء من تطور المادة وانعكاس لها . فالنهضة الصناعية كانت ذات اثر كبير في ابراز قيمة الزمن وجدية الحياة . ولولا استقامة الخلق عند طليعة العلماء والمفكرين لما استقام سير العلم والمادة اللذين يسخرهما الانسان ويفتح مغلقاتهما .

عمان — **محمد اديب العامري**

بيني وبينك ؟

* * *

حديثه السحر في كأس وقد سكبت — فيها المعاني باحلى ما جرى بنغم
وصوته الحلو يسري كالنسيم دجى — حتى يبدد في مسراه كل الم .
يقول : احببت من بدء اللقاء فهل — بالروح احببتني يا (روح) ؟ قلت نعم !!
بيني وبينك اسباب تحول فلا — تعلن جواك فمن يكتم هواه سلم
برغم وجدي آثرت النوى اترى — استطيع سلوى وفي طي الفؤاد ضرم ؟!
أهوى وما لي في هذا الهوى امل — كأن حبيك يا كل الرجاء حلم !!

مصر الجديدة — **روحية القليني**



الاخطل الصغير بريشة رشيد وهبي

السبك في شعر الاخطل الصغير

بقلم الدكتور علي شلق

المرحلة الاولى

الاصوات معاناة حياة ، تعبير عنها ، لذلك فهي صور لتلك الحياة ، تجيء في حالاتها الاولية غامضة الرمز ، خفية الدلالة .

بعد اكتشاف الحرف ، اصبحت تلك الحروف اصداء تحاكي الاصوات ، وعلى شيء من التهذيب ، والتطوير . فاذا بنا بعد مرحلة ، نكتشف امكانية هائلة عند الانسان ، تجلت في مكنة التعبير عن الوجدانيات والروحيات بتلك الحروف ، بعد مرحلة محاكاة الاصوات .

الاصوات في الاصل حالات ، رمز اليها بالاصوات ، فالصوت والمعنى لا ينفصلان في الكلمة .

والكلمة شخصية مستقلة بذاتها ، لها عالمها الخاص ، كالكوكب يدور حول نفسه بتناغم ذاتي يعشق حركته .

لكن هذه الذاتية لا تمنع ان يكون لها دوران اخر ، اوسع واشمل في مجتمعها ، اي في التركيب ، وذلك يشبه الدورة الكبرى حول المركز العام ، شمس الاثر الادبي . فهي لها معنيان ، واحد في الافراد ، واخر في التركيب . الكلمة بهذه المثابة وسيلة ، غايتها التركيب ، فهي مادة ما نسميه التجربة ، اما صورة التجربة الكاملة فهي في الاثر الذي يكتمل بما نسميه الطريقة .

للكلمات المفردة دلالات وهي ذات قوة ايحائية ، محدودة في رمزها للتجارب ، لكن الكلمات في التركيب الادبي تفسح لنا مجال الخيال ، والخيال لا حدود لتجاربه . لهذا كانت الحروف صناديق تخزن الاصوات ، والالفاظ صناديق التجارب ، اما الاسلوب فهو فن ،

فكل ادب هو في حد ذاته موصل لتجارب ذات قيمة ، وكل تجربة لا تصل الينا ليست ذات وجود . هنا ، لانقف عن حدود الالفاظ والجمل ، بل لا بد لنا من القول ان هذه الالفاظ والجمل ، تشكل ما نسميه الحالة الثانية ، الجو ، او العالم الذي نقلتنا اليه تلك الالفاظ والجمل .

واخيرا بمقدار ما يستطيع الاديب ان يوصل ، اي ان يكتشف الالفاظ ، ويوفق الى التعابير التي تثير الخيال ، وتقدر على النقل ، بمقدار ما يكون ذا موهبة ، وصاحب طريقة .

فهل تكون الطريقة اختصارا لشخصية الفنان ، ودلالة على امكانياته ؟

يجيبنا عن ذلك لونجينوس ، وهو صاحب رسالة عظيمة في الجلال الشعري بأن الاسلوب هو الرجل .

المرحلة الثانية

بعد هذه التوطئة من تراه يكون بشاره الخوري في اسلوبه الذي هو صورة عنه ؟

للاجابة على سؤال يعدل حياة الكائن البشري ذاته ، نتناول ديوانه « الهوى والشباب » الذي يقع في ما يقارب المائتي صفحة من القطع المتوسط ، قدم له الاستاذ عادل الغضبان ، ونشرته دار المعارف سنة ١٩٥٣

تصدرت الديوان قطعة من خمسة ابيات عنوانها « لبنان » تناول فيها الاخطل الصغير معارض الحسن في لبنان ، من مجالي الارض ، ومشارف النجوم ، بين تأوه الجداول ، وابتسام الروابي ، ورفيف الغصون ، ثم انتقل فجأة على طريقة القصيدة القديمة الى الحديث عن فاطمة ومريم ، اذ هما رمزان لوحدة الصف اللبناني ، ثم عاد الى اكمامه البيضاء ، وسمائه الزرقاء ، وشبهها باطفال تنام وتحلم ، وتتصاعد قبلاتها كما تمر بالوادي فتلثم جوانبه .

لم يفعل بشاره الخوري اكثر من تعداد معارض الحسن في لبنان ، بأسلوب حلو ، وكلمات رقيقة ، وذلك يصورلنا لطافة روحه ، ونعومة ذوقه ، بيد ان الامر اقتصر بالشاعر عند هذا الحد من تسطيح الشاعرية ، فلا انغمار صوفيا في طبيعة لبنان ، ولا لهثة روح تنعقد بينها وبين الاشياء وحدة عناق حميم .

وعندما تخطر المراة امام عينيه ، وجوانب قلبه ، تتمادى كأنها تمشي فى دروب مكشوفة ، لا حنيات ، او اغوار فيها أنها دروب معبدة ، معشوشبة من الهامشين ، لا يوحي لك اجتيازها ابعادا ، واسئلة ، وجلالات ، ولو قسناقصيدة من قصائده فى مقابلة المراة بالطبيعة ، مع ما عرفنا لابن الرومي فى بستان المغنية ، ووحيد ، لظهر فارق السماوية عند ابن الرومي ، والضحضاحية عند بشاره الخوري :

المهى اهدت اليها المقلتين   والظبا اهدت اليها العنقا
فهما فى الحسن احلى حليتين   للعذارى جل من قد خلقا

الى ان يقول :

فكسا بالورد منها الوجنتين   وكسا مبسمها بالاقحوان

وقوله عن النهدين :

فهما فى صدرها كالموجتين   اي صب ما تمنى الغرقا

ان فى ترديد فعل « كسا » لفتور ظاهر ، وفى تمني الصب ان يغرق فى امواج الصدر بساطة ، وضآلة ايحاء ، لكن فى قوله :

او هما ، وليسلما ، كالتوامين   كلما همت بامر قلقا

غنجة فاتنة ، واعذيذابا مسكرا ، لا يقل عنه قوله فى القبلة الاولى :

ان كان احلى الحب اول قبلة   ما ضره لو مات اول عمره
كالزهر مات مكفنا باريجه   ووسيم نضرته ، ونشوة طهره

على ان البيتين على ما فيهما من ترقرق الكلمات ، وحريرية الاجواء ، لا يوحيان بما مثله ميشال طراد ، والموضوع واحد ، فحملنا على مخمل جناح الكلمة الى ليل من اطياف مسحورة ، تفتح لنا ابعادا ، وصورا ! :

يا صاحبي ما كان اسعد هالدني   لو كان متلي فيك عمتتصورا
وتعيش عمرك مثل عمر السوسني   عاكاس خمر ومجوز وضحكة مرا

فى بيتي ميشال ، هز موسيقى ، وصخب جو ، والتفاتات وجلة ، حزينة ، فرحة ، هنا نكهة صوفية ، وهي اقدس ما عند الشاعر ، من وسائل يصل بها الى حرم الهيكل . وان كنت لا انكر ان بيتي بشاره الخوري يشرحان صورا زغباء الريش عن ميتة الزهر مكفنا باريجه ، وووسيم نضرته ، ونشوة طهره ، غير متجاوز قيمة هذه الكلمات الموحية وسيم ، نضرة ، نشوة ، طهر .

والصوفية فى الشعر اخت الفلسفة ، اوهما جناحا الشاعرية الحقة ، تلك التي بجلالها تمسح آفاق الانسانية ولا تقف او تنحسر بين حدود المكان ، والجنس . فأي تساؤل طفل اولي فيما يلي :

من ترى يشرح لي ذنب الفقير   او ترى يظهر لي فضل الغني
يرثان البؤس والعيش النضير   ويقيمان معا فى الكفن

الى قوله :

ما ترى يفعل مكتوف اليدين   اترى يقدر ان لا يغرقا؟

وفى قصيدتيه «آه ما احلى الحميا،ومن راى الشاعرتاب» قال الاولى سنة ١٩٣٩ والثانية مغفلة التاريخ ، يبدو شاعرنا فيهما مراهق الحبكة ، وان كانت بعض توترات شعرية هنا وهنالك ، فى جو غير بعيدمن الوهن، والخروق التي لا تمنح الوفاق الجمالي ، الذي يجيء وليد الجو البديع .

فأية صورة موحية كلمة القرب فى بيته القائل :

ما للشفاه الكسالى لا تزودنا   فقد حملنا على افواهنا القربا؟

تصور قربة سوداء ، باهتة ، مشققة ، محمولة على شفتين ، وهي تطلب لفراغها امتلاءا من شفتين بخيلتين ، او كسولتين ، ذلك لا يعادل قوله :

رسالة من فمه لفمها   كذا رسالات الهوى تختصر

واذا قال :

قلت اهواك يا ملاكي فردت   مقلتاه لكن تلعثم فوه

ليست لها ايحائية قولة امين نخلة :

والذ تادية وامتع منظرا   اغفاء عينك يومذاك وصمتها

اما الصورة الحلوة فى بيته التالي :

والنسيم الخفيف يلهو بثوبينا   كطفل اهلوه ما هذبوه

فهي تستر ما تواهن من بعض صوره ، فى مطلع شبابه حيث يفوته حسن انتقاء الالفاظ كما تتواهن الجدلة الشعرية فى ابياته التوشيحية، اذ يقل هنا عنه فى الاوزان المرتاحة ، الرتيبة ، شأن شعراء عصره ومن سبقوا عصره، فالتنويع فى القوافى ، والاوزان ، ظاهرة لم تستلن الا لاقلام المعاصرين ، وقرائحهم .

صداح يا مؤنس الاراك   ما لي اراك ؟
تشدو ، فسبحان من قد براك

الوان باهتة ، تساؤل رخيص لا يدب فى النفس ، بل تجفل منه الاذن ، فهل يسأل الكوكب لماذا يشع؟ والزهرة لماذا تفوح ؟

صفق كما شئت بهذا الجناح   فلا جناح
وشم خد الزهرات الصباح   فهو مباح
فالروض لم يختر مليكا سواك ، فانشر لواك ،فكلنا فى هواك

الاوزان والقوافى مستعجلة لحشر الكلمات فيها ردما للهوة التي تفزع من الفراغ الشعري .

وبعد فافعل ما تشا فى فتاك   فشفتاك حسبي،فماذا تبتغي مقلتاك؟

شفتا الصداح ، ومقلتاه ، لاسر فيهما ، بل السر فى منقريه ، وجناحيه ، فألصاق الفتنة فى عيني الصداح وشفتيه ، عملية ردم لا دوزنة عمارة شعرية .

واين النحت ، والتحكيك فى رخام اللفظ والفلذةالشعرية عندما يقول :

آه يا هند لوترين   موقفي بين حائطين

فاية حائطية طينية فى هذين الحائطين ؟

وتفوته البراعة فى قصائده المقتبسة عن اللغات الاخرى كما تفوته البراعة فى معظم شعره قبل سنة ١٩١٤ نلاحظ

الفتور فى الصفحات ٤٤ ــ ٥٥ ــ ٦٤ تحت عنوان : قلب خافق ــ انا لو كنت يا سليمى ، وماذا اقول له ، سواها .

وفى قصيدته الطويلة « الريال المزيف » يدعو الى الملاحظة : فالابيات الاربعة الاولى ، تبدو منقطعة عن باقي المنظومة ، وان كان بارعا فى رصف مداميك الكلمات ، وتنسيقها .

على انني لا استثني من موشحاته التي لم يوفق بها الا موشحته « اسقنيها بابي انت وامي » والتي غنتها ذات الحنجرة الفضية اسمهان ، تلك التي تصور لنا صهيل حصان من نحاس ، يرقل على خدود القمر ، وان كانت هذه الموشحة مقتبسة الوزن ، والاجواء من قصيدة ابي العتاهية .

قل لمن لست اسمي   بابي انت وامي

اختم الحديث عن هذه المرحلة الثانية التي عرضت فيها لشعر الاخطل الصغير قبل سنة ١٩١٤ وما يليهابقليل فشعره فى هذه الفترة كان يجب ان يلغى ، وان كنا نلمح استلانة الالفاظ ، وطواعية القافية فى بعض قصائد هذه الفترة ، كقصيدة « هند وامها » ، الا اننا نفتقد الابعاد الشعرية ، كالعباب ، والذرى ، والاغوار ، وبقينا فى ضحضاح من الماء ، عذب ، صاف ، يترقرق على رخام املس ، ملون ، لا غير .

المرحلة الثالثة

هذه الفترة تعرض لنا شعر بشاره الخوري المتميز بخصائص الشاعر ، وتناغمه فى الشكل والمحتوى ، مع ما نسميه العمارة الشعرية . اذ نلتقي بالكلمة المختارة ، بالمكان الملائم ، بالجو الانيق المنغوم ، لنقابل ابا عبد الله رقيقا ، عذبا ، جليلا ، محلقا .

قبة من مكارم ، وجدار   من فخار ، وعتبة من جباه

كلمات تترقرقعلى قلم ابي عبد الله، مشوقة الىاخواتها فاذا بثريا العناقيد تاتلق ، وبنسيج الطيلسان يهدل بجلال رب من الاولمب ، ورشاقة حورية على عشب مزهر، يومىء البحر الىعاج ساقيها فتنزلقفى الماء تتبرد ، ارتماءالهنيهة فى المطلق كما يقول اخونا سعيد عقل مهندس الكلمة الشعرية .

رقدت ترشف الكرى مقلتاها   مثلما يرشف العطاش المياها
صاعدات انفاسها هادئات   كصلاة الاطفال طهر شذاها
تحلم الحلم لؤلؤ يا فتمليه   طهورا على الصبا شفتاها
وازاح النسيم عن صدرها الثوب   فلاحا ، ولا تقل نهداها

كلمات ابراج ، صور معنبرة ، مقصوبة من تفتاالشمس ، من برفير القمر ، لكن الكلمة التي لا يقولها بشاره فى البيت الاخير ، اغدق نعمة ، وحركة ، ورمزا .

لنقف عند قصيدة « قد يغني الفتى » وقصيدة « عمر ونعم » حيث تقابلنا شواهق العمارات الشعرية، بقناطرها واعمدتها التي تشارف الفلك ، ولا تمنح الا فى نادر العطاء، وان كنت الاحظ كثرة حروف العطف التي يجنح بناتتابعها الى شيء من التساهل فى رصف حبات العقد، والتي يخفف من اثرها التساؤل الحلو المستساغ :

تعرت الشمس على وجنتها وانشق   لو تعلم اين القمر ؟

وقوله :

ما الحسن لولا الشعر الا زهرة   يلهو بها فى ساعتين النظر
حتى اذا ما ادركتها رقة   من شاعر او دمعة تنحدر
سالت دماء الخلد فى اوراقها   ونام تحت قدميها القدر

وكلماته : راس ملاك اشعر ، وصدر حنون اشقر ، وشهدا تقطر ، هي من فلتات التوفيق فى جري السباق الشعري ، كما ان الشاعر هنا يعمد الى الاشارة المفصحة عن اصالة فى فهم الفن التي مؤداها ان الشاعر كفنان ، يعمد الى الصورة فيجسدها بالكلمة ، وعملية التجسيد هذه محاولة للتفوق على الزمان ، وامساك جريه فلا تنهمر شآبيب الفناء .

ان العمل الفني فى حقيقته تخط للفناء ، لانه موصول بالمطلق الذي يقف المكان والزمان عند شواطئه ، لهذا لا سبيل الى اخلاص اي كيان بشريالا بالفن، خلاصا يحمله الى مدار الغبطة والفرح والدوام .

غاية الفن التعبير عن الجمال ، الفن وسيلة ، الجمال نهائية ، الجمال وفاق مع النفس ، والوجود ، لانه عنوان الوحدة .

هنا نرى ان بشاره الخوري ادرك نسبة ما بين عمل الطبيعة المتغير ، وعمل الفن الخالد ، فزهرة الطبيعة غير زهرة الفن ، تلك تذبل ، وتفنى ، وتلك ينفخ فيها فنان خلاق من روحه فتتخطى دائرة التغير .

على ان عملية الخلق اذا امعنت فى خطوط الشكل ، وعالم الظواهر تنسيقا ، كان ذلك بمثابة تطريز دروب التغير ، بعيدة عن تجسيد الشوق ، وتشخيص الحنين النابعين من اعماق الكائن المبدع ، فى سبيل الاتحاد الكامل بالنهائي .

ان عمل الفنان يتم برفع الوسائل ، التي هي ظاهرية الى ان تنطلق ، وتتصل بعالم الكمال ، اما الاقتصار على التصنيع فهو عمل الهاء ، وخداع سرابي عن حقيقة الضمنيات .

بشاره الخوري قد يمعن فى التصنيع احيانا ، فيبعدنا عن سماء الخلق ، ويلهينا بقواقع لا حياة فيها ، وذلك ما يحصل لكل فنان ، فى بعض اعابيثه الطفلية ، حيث يروقه البهرج ويغفل عن درر القاع .

قتل الورد نفسه حسدا منك   والقى دماه في وجنتيك

قتل ، حسد ، دم ، كل ذلك مسلط على وجه حسناء ، فيا لاصداء ابي تمام فى مقابلاته الوقوعية وطباقاته ، التي بعدت به عن جوهر الفن !

وربما انفتحت ابواب الهنيهة الخلاقة ، والشاعر يعبث بأصدافه على الشاطىء ، فاذا به ينفض جناحي شراعه ، ثم يطفر فوق العباب ، ويمسح جوانب الافاق .

عيناه عالقتان فى نفق   كسراج كوخ نصف متقد

الكلمات فى حد ذاتها موحية ، لكنها فى التركيب ، فتحت امامنا بالخيال مدى رحبا على كثافة الصور ، ويا ليته خرج فى قصيدته « خيال من دمر » هذه الرياض والغابات التي توطىء لدخول الشام ، عن تسطيحه التشابيه والاستعارات ، الى رفيف الشراع ، وخفق الريش .

ايها الدوح دوح دمر اني   لست انسى تلك الليالي اليتامى

ولعله ان فعل ذلك يرضينا بمثل قوله :

لم يلبسا ريش الهوى لكنما   هو ريش احلام وريش امان

وقوله :

فجرى يرقص عوده الشعري على   صدر المروج ومعصم الغدران
فيصوغ هنيهة النسيم قصائدا   ويرد زمزمة الغدير اغاني

ولا ادري هل وفق ابو عبد الله فى جعله الشعر سببا من اسماء الكشوف العلمية الحديثة فى مثل فريدته :

له على الافاق فتح زاهر   وفى عباب الماء فتح ازهر
تعلق العلم على اسبابه   فحلق الطود ، وقال الحجر

بشاره تأثر بالرومنطيقية اكثر من شعراء عصره ، وتلاقى بالاخرين الذين اتخذوها مثالا ينسج على غراره ، لكن الكلاسيكية ، والرومنطيقية ، والرمزية ، وخلافها من مدارس الشعر والرمز ، اذا كانت وسائل تعبيرية للنسج والتفصيل ، والهندمة ، فهي قبل كل شيء عمل فكر ينبع ، ومشاعر تفيض .

انا ادرى بالطير حين تغني   كم جراح سالت على الاعواد

ومن هذا المقد قوله :

عذرتك يا قلب من للهوى   انتركه بعدنا يذبل
سكتنا فما غرد العندليب   وتبنا فما صفق الجدول

هويناك يا ابا عبد الله ، كدت تفجر قلوبنا جراحا ونحن فى مدارج الخمسين !

ولا يغيبن عن البال ان الجناح الحسوني فى ساعة يرف من قوافي الاخطل الصغير على الاقحوان ، والغصون اللدنة ، يبقى على طراوته ، ورقته ساعة ترجف الاعاصير ، وتزأر الازمات . انه مفن الكلمة الصناع ، فهو يختار لها البحور حسب الزخم الزاخر فى قريحته واجوائه .

ضجت الصحراء تشكو عريها   فكسوناها زئيرا ودخانا

وما كنت اظنه سيلبس بردة النؤاسي ، ويمد يده الى كيانه فيتناول قلبه ، ويعلقه الى جانب قلبه ، نابضا بمشاعره واحاسيسه ، ذاك الذي له سكرتان وللندمان واحدة ، ثم يلتفت الى الحسين بن الضحاك الاشقر الخليع ، فتعجبه أبعاد التجنيح فى الكلمة ، كما تروقه صناجية الاعشى ، وخشاخش الاخطل الكبير ، فيطلع على آفاق الشعر العربي المعاصر بفريدة الفرائد :

فتن الجمال وثورة الاقداح   صبغت اساطير الهوى بجناحي
ولد الهوى والخمر ليلة مولدي   وسيحملان غدا على الواحي
اشتف روحهما واعطي مثلها   روحا ، واسلم ليلتي لصباحي

وهو مثلما كان يمعن فى المحسنات اللفظية ، عند مدارج شبابه ، اصبح يزهد فيها بعد اتكائه على عرش الشاعرية، صنو المعري فى مستهل امره ، واذا بدرت تصنيعية فى شعره الواثق من ذاته ، فانما هي حيث وضعت ، ويبدو التميز عنده فى لطف الكنايات والاستعارات ، ودقة المقابلات التشبيهية :

جمع الاحسنين فى اوزانه   روح حسانه ، ووجه حسانه

ولا ادري كيف تحضرني فى البال صور من رومنطيقية لامارتين ، ووهمية ابن الرومي ساعة اقرأ هذه الابيات :

يحمل الابتسام فى شفتيه   والمنايا تسيل من اردانه
كسراج فى جوف دير قديم   هرقت روحه على جدرانه
كعليل على فراش من السل   بعيد المزار عن اخوانه
كلما الحف السعال عليه   اطعم الموت قطعة من جنانه
هكذا الشاعر الشقي يغني   ليغذي الافراح من احزانه

اما براعته فى التقطيع ، والتوزيع ، وهما غير الترصيع الشعري الذي يقابل السجع النثري ، الشيء الذي يريح فى توزيع الفلذات الشعرية، والموجات النغمية، فهو فريد بها:

حسامهم ما نبا فى وجه من ضربوا   ومهرهم ما كبا فى اثر من هربا

الى جانب الصور التي يشرح بها انفعالات الاعماق ، وتشوفات الخواطر :

او هضبة من خرافات مرقعة   باعين من لظى او من رؤوس ظبى

وقوله :

ماذا نسميه ؟ قال البعض صاعقة   فقال كلا ، فقالوا عاصفا فأبى

الى قوله :

يرى السراب عبابا هاج زاخره   والرمل يلتحف الازهار والعشبا

يلتفت الى ابن الرومي فى قوله عن امواج دجلة :

كاني ارى فيهن فرسان بهمة   يليحون نحوي بالسيوف القواضب

هنا ، اجدني فتحت الباب ، مدخلا لشعر الاخطل الصغير ، الحبيب ابي عبد الله ، متخذا من عبقريته فى اكتشاف كنوز اللفظة ، واجواء التركيب ، وطريقة النسج، والرصف ، والتنغيم ، كي اعود اليه مرة اخرى فى منازع فكره ، واغراض شاعريته ، التي رفت وحدها فى مجرى ثلاثين عاما على دنيا العرب ، تغني افراحهم ، وتبكي مآسيهم ، وتزرع اللهب ، والعصف فى يقظاتهم وثوراتهم .

هنا ، قولوا لي ، اي شاعر عربي فى مدى ربع قرن لم ينهمر على مائدة بشارة الخوري ، وينسج على طريقته ؟ اقول واثقا ولا استثني .

علي شلق



نيسان

* * *

امين نخلة

نيسان حلوٌ ، غريرُ ،   على الشهور اميرُ .

في الارض زفة بشرى ،   وفي الفضاء حبور .

وكلُّ شمٍ اريجٌ ،   وكلُّ لمس حرير .

كأن دفق حياة   في الكون ، اوذا نشور !

فالشوك نعمُ التثني ...   والصخر نعم الشعور ...

والغصن يلبس ثوباً   يا حبذا لو يعير !

وللنسيم كلام   عن الحنان كثير .

والطير حطت ، ولولا   احبابها لا تطير .

كأن ديوان شعر   على الجمال يدور .

الحبر يلمع فيه ،   وتستشفُّ السطور .

طالت عليه الحواشي .   انّ الكتاب كبير !

هل شاعر عبقريٌ   في كلّ وادٍ يسير ،

منه الحنين ، ومنه   تنفسٌ ، وضمير ،

قد قال كلّ جديد   ما أُسمعته الدهور ؟ !

فاليوم حبرٌ وشيٌ ،   واليوم صيغت شطور .

نيسانُ زار ، فأهلاً .   فضل علينا ، وخير .

أمرةً كلّ عام ؟   لوكل يومٍ يزور ...

«... الفجار الثاني بين قريش وهوازن ، وكان الذي هاجه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة ، وضيئة وحسّانة ، بسوق عكاظ ، وعليها برقع وهي فى درع فضل . فاعجبهم ما رأوا من هيئتها ، فسألوها ان تسفر عن وجهها فأبت عليهم . فأتى احدهم من خلفها فشد ذيل ثوبها بشوكة الى ظهرها . فلما قامت تقلص الدرع عن ظهرها فضحكوا ، فنادت المرأة يا آل عامر!.. نتحاور الناس ، وكان بينهم قتال ودماء .. »

(ايام العرب)

* * *

— هل تعرف البسطيق ؟

— هو طائر من الطيور القطبية..

— لا .. ذاك البطريق، طير ابيض جناحاه اسودان .. لبودلير قصيدة يشبه فيها الشعراء به . وانا اراها قصيدة باردة ...

— والبسطيق ؟

— رقائق تصنع من دبس العنب والنشاء ، تؤكل كما هي ، او ان يلف بها لب الجوز فتؤكل لقيمات .. اطفالنا يحبونه كثيرا ، وربما حشا واحدهم جيبه بصحائف منه كما يحشوه بصحائف خبزنا الرقيق ، يأكلها وهو يلعب او يمشي ، مزعة وراء مزعة ...

— وهذا الاسم الغريب ، البسطيق .. من اين جاء ؟

— احسن البسطيق ما جاء من الرها ، فى تركيا .. فلا بد ان الاسم تركي جاء من هناك . ومن مادة البسطيق نفسه ، اعني من دبس العنب والنشاء، تصنع حلوى اخرى: تحشى عجينتها بلب الجوز ، وتلف على خيط قطني ، ثم تعصر قبل ان تجف وتجمد حتى تصبح قضيبا طريا مؤلفا من عقد مغزلية الشكل..

— تقصد الملبن ؟

— نعم هو الملبن ، كما تسمونه انتم . اما عندنا فان الناس يطلقون عليه اسما ... ماذا اقول .. اسما بذيء اللفظة ، ولكنه مضحك الدلالة.

— ماذا يسمونه ؟

— دعك من هذا ... سأروي لك حكاية جرت فى عرس واحد من اعمامي ، بل من اعمام ابي ، وذلك منذ زمن بعيد ، وقبل ان اولد انا..

— تتعلق بالبسطيق ام بالملبن ؟

— بالبسطيق والملبن ، وبالتين المجفف ...

— وما هي الحكاية ؟

— قلت لك ان البسطيق يصنع على شكل رقائق تشبه رقائق الخبز . بل انه اذا كان جيد الصنف بدا كقطع من نسيج ناعم عسلية اللون . وقد تكون قطعة البسطيق من السعة بحيث انها تطوى طيات عديدة كما يطوى ثوب عريض من القماش ، فلا يدرك الغافل انها حلوى الا حين يقتطع صاحبه قطعة ويضعها في فمه . ومنذ سنين بعيدة ، حين كانت بلدتنا قرية ، اراد اعمام لابي



بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

ان يضحكوا الناس فى عرس واحد منهم فجاؤوا بصديق لهم ، كان لهم كالنديم فى مزاحه وخفة مزاجه ، والبسوه ثيابا من بسطيق ...

نعم ، صنعوا له ثيابا من بسطيق. انت تعلم ان الناس فى بلدنا يلبسون ثيابا بدوية بسيطة ، وكانوا بالامس ابسط منهم اليوم ثيابا . لباسهم حينذاك كان ثوبا من قماش ابيض طويل الاردان حتى تلخط اكمامه الارض من فرط طولها، يلف واحدهم عليه حول خصره حزاما ويضع على الراس كوفية يثبتها بعقال اسود رقيق . واذا لم يكن الانسان فى بيته او فى عمله وضع على كتفيه عباءة من



صوف او وبر . وقد صنع اعمامي لاحمد البوحسين، نديمهم ذاك ،مثل تلك الثياب ، ولكن ليس من قماش الكتان او الصوف ... ... بل صنعوا الثوب باردانه الطويلة ، من البسطيق . وكذلك الكوفية على الراس . اما العقال فقد صنعوه من لفتين من الملبن. وعلى الخصر اداروا حزاما من احدى قلائد التين المجفف، كما يبيعونها فى سوق البلدة ، اعني قلادة مصنوعة من عشرات من حبات التين المبسطة ينتظمها خيط غليظ . ودفعوا بأحمد هذا ، وهو يلبس ثياب البسطيق والملبن والتين ، الى ساحة الدبكة فى عرس القرية ...

انت بلا شك لا تعرف الدبكة كما يرقصها الناس عندنا فى الاعراس . عندنا ، فى الاعراس ، يدبك الناس ، او انهم كانوا فى تلك الايام التي جرت فيها هذه الحكاية ، يدبكون فى كل عرس سبعة ايام تسبق يوم الزفاف. تبدا الدبكة كل يوم من بعد صلاة العصر حتى قريبا من مغيب الشمس فيتهافت الى حلقتها الفتيان والكهول من كل صوب ، وكذلك تتهافت الفتيات والنساء من كل الاعمار ، للاشتراك فى الدبكة او للنظر الى الدابكين . حركات دبكتنا حركات بطيئة ، ليس فيها حيوية الدبكات البلدية التي تعرفها ، فهي تقتصر على نقلات محدودة لاقدام الدابكين، يرفقها بعضهم بهزات عنيفة لعطفيه على نغمات مزمار ينفخ فيه ذاك الذي يتوسط حلقة الدبكة والذي نسميه الشاعر ، ولكنها مع ذلك تجذب كل الناس الى مشاهدتها وتأسرهم برتابة موسيقاها وتكرر حركاتها .. وبمنظر الفتيات المتبرجات اللواتي ينتثرن بين الرجال فى صف الدبكة الطويل كأنهن حبات ذهبية براقة فى عقد سائر حباته من الزجاج الكامد البريق. وقد كان اعمام ابي واصحابهم من الشيطنة بان قادوا احمد البوحسين فى ثيابه البسطيقية ، مستعرضين به حلقة الدبكة وصفوف

النظارة ، حتى انتقوا أجمل فتاتيـن في الحلقة فوضعوه بينهما . واشاروا بعد ذلك الى نافخ المزمار ان يستمر في اثارة حماس الدابكين بالحانـه ، والى الدلال ، الذي كان يهتف فـي مركز الحلقة باسماء الفتيات اللواتي كان ابناء عمومتهن ، او عشاقهـن يعطونه على اسمائهن الشوباش ، ان يرفع عقيرته بالهتاف والنداء ..

ربما تتساءل كيف استطاع احمد البوحسين ان يشترك بالدبكـة اخذا بكل من يديه يد الفتاة التي تجاوره على تلك اليد،هازاعطفيه، داقاالارض بقدميه، متحركاعلىانغام المزمارالحركة الدائرية التي ينتقل بها صفالدابكين في ساحة الدبكة ، كيف استطاعاحمد هذا ان يفعل كل ذلك دون أن يفطن احد ، حتى ولا الفتاتان اللتان كانتا على يمناه ويسراه ، الى انه كانيلبس ثيابا من بسطيق ويلف علـى راسه عقالا من ملبن وعلى وسطه حزامـا من التين المجفف ؟.. الحق ان زي احمد البوحسين لم يصعد لاعيـن النظارة الا هنيهة ضئيلة من الزمن ، وحتى هذه الهنيهة لم تكن الا لانـه كان يلبس فوق ثيابه الغريبة فـي نسيجها عباءة من الصوف الرفيع . وبعد هذه الهنيهة مالت احـدى الفتاتين على هذا الطارىء شريكا لها في الدبكة وقد رابتها خشخشةثيابه وملمسها الغريب على يدها الممسكة بها يده ، ولم تلبث حين تطلعت الى عقال الملبن علـى راسه ان صاحت برفيقتها :

ـ انظري ماذا على رأسه !

ولا بد انها كفتاة ، خجلت من ان تذكر بلسانها الاسم البذيء الذيكان يعرف به الملبن عند الناس هنـاك . ولكن صيحتها جلبت انظار الجمهور واطلقت ضحكات اصحاب احمـد البوحسين الذين جاؤوا به الى حلقة الدبكة ، وحركت فوق ذلك ايـدي الدابكين الذين ادركهم الفضـول فارادوا التأكد من ظنون الفتـاة الصارخة عن عقال احمد البوحسين ومن نوع النسيج الذي فصلت منه كوفيته وخيطت ثيابه ...

ماذا حدث بعد ذلك ؟ حـدث ان اكل الجمهور من الفتيان والرجـال عقال احمد البوحسين وحزامه، وان تناهبوا ثيابه لقيمات بسيطة صغيرة ، بينما كانت النساء يدرن ظهورهـن مولولات وهنمنهزمات منحلقةالدبكة لئلاتقع اعينهن علىالرجل العاري الذي كان منثنيا على نفسه ليستر عريه ، والذي كان يشتم اصحابه الذيـن ورطوه هذه الورطة .. لا خجـلا ، وانما لان ما اصابه من الغمز واللمز كان فوق ما قدر او مـا انتظر ان يصيبه حين رضي ان يخوض غمرة هذه الدعابة ، فيلبس ثياب البسطيق وعقال الملبن وحزام التين . نعـم ، لقد كانت مضحكة تلك الدعابة ..

ـ وغريبة كذلك .. غريب منظر الناس وهم يعرون رجـلا ويلتهمون ثيابه قطعة وراء قطعة . اتدري انـه اسلوب جديد في التعرية لم يخطـر على بال اولئك الذين يخرجون فصول الستريب تيز ، اعني فصول تعرية الراقصات، في ملاهي اوروبا واميركا؟ . لقد رأيت شخصيا من تلـك الفصول غرائب وغرائب في البـلاد التي زرتها ..

ـ مثـلا ؟

ـ لا زلت اذكر قبوا من اقبيـة عاصمة بافاريا ، مونيخ ، كان النظارة فيه هم الذين يتولون تعرية الراقصة . كل متفرج يجد على مائدته قصبـة طويلة من قصبات صيد السمك في اخرها سنارة ، فاذا قامت الراقصة تخطر على المسرح مـد المتفرجون قصباتهم بسنانيرها يجهد كل واحد منهم ان يعلق سنارته بحلقات صغيرة مخيطة الى قطع ثياب الراقصة ... فاذا علقت وجرها اليه تهاوت القطع متهافتة عن الجسد الجميل . كـان اكثر تزاحم النظارة وتطاحن قصباتهم على الرقائق الاخيرة مـن الشفوف التي تستر عري الراقصة التام . فماذا لو كانت تلك الشفوف مـن بسطيق ؟

ـ بل ماذا لو كانت تلك الراقصة مكان احمد البوحسين في دعابة اعمام ابي ؟.. ان عظام صاحبنا الجلـف ذاك لتهتز الان في قبره لمجردمقارنتك اياه بتلك الراقصة البافارية ، التـي لا بد من انهاشقراء وردية البشرة ، ولو كانت تلك المقارنة في قصة مـن قصص الستريب تيز ..

ـ لماذا لا ؟ ما احسـب ان رواد ملهى مونيخ قد ضحكوا او طربـوا لرؤية جسد راقصتهم باكثر مـن ضحك الناس في تلك الحلقة لرؤيـة جسد رجلك الذي سميته احمد .. اي احمـد ؟

ـ احمد البوحسين. نعم ،ولكنك لا تدري ان فصول التعرية في حلقات الدبكة ليست كلها مضحكة. فبعضها شديد المرارة .

ـ هذا يعني ان عندك حكاية ثانية عن تعرية في حفلة عرس في بلدتك !

ـ انها تعرية في حفلة عرس ... الا انها لم تحدث في بلدتي بل في قرية مما حولها . كانت عواقبها ، كمـا قلت ، شديدة المرارة . انتظر قليلا فساروي لك حكايتها .

* * *

بلى ، هذه هي الحكاية التي جرت في قرية على شاطىء الفرات مناحية الجزيرة . جرت في زمان ، ليـس بالقريب ولكنه كذلك ليس بالبعيد ، كانت فيه كل قبائل هذا الشاطـىء تخضع لنفوذ اسرة واحدة صلال من ابرز فتيانها . صلال هذا الذي كان مزهوا بشبابهوبمنزلة اسرته فيقبائل الشاطىء وبمنزلتههو في تلك الاسرة، صلال هذا كان قد سمع من الفتـى الذي اسمه هلال السالم كلمة لـم تعجبه امتلأ منها صدره غيظـا جارفا .. وبصورة خاصة لان هلال السالم لم يكن الا واحدا من افـراد قبيلة تدين بالسيادة لاسرة صلال . لذلك فقد كان على هلال السالم ان يدفع غاليا ثمن تلك الكلمة التي لـم تعجب صلال ، وان تذل نفسه ذلا

مشهوداً يعرف فيها قدر نفسه وأنه ليس ممن يحق له ان يرفع راسه امام سادته وسادة عشيرته او ان يدور له لسان امام فرد منهم بكلام.

وكان فى ذلك الحي من العشيرة انذاك عرس تعقد دبكته ، كالعادة ، فى كل يوم وقت الاصيل . وكان صلال يعرف انهلال السالم سيتوجه الى الدبكة بعد ان يفرغ من سقاية حقله لان بين الفتيات اللواتي كن يشتركن بها خطيبته ، خطيبة هلال اعني . لذا فقد حمل صلال بندقيته ووضع لثامه على وجهه واعتلى تلعة كانت تشرف على الطريق بين حقل هلال السالم ومضارب العشيرة حيث تدور الدبكة ، وتربص هناك منتظرا اوبة غريمه من حقله . لقد عقد صلال نيته على انتقام بسيط، الا انه قاتل . فلما بدا هلال السالم قادما من بعيد ، فى مشيته سرعة كأنما كان يستعجل بلوغ الدبكة قبل ان تفوته منها دورة ، رفع صلال بندقيته مصوبا فوهتها الى النادم وصاح به:

ـ هلال ... هلال ... الى اين انت مستعجل هكذا ؟

فرفع اليه هلال رأسه وتوقف مشدوها . لقد عرفه ... انه طلال، وهذا اللثام لا يقوى على انيخفي من شخصه شيئا . كان يذكر الملاحاة التي دارت بينهما منذ ايام ، ويعلم انها هي التي دفعت صلال الى ان يشهر بندقيته فى وجهه . لا بد من ان هلال احس بضيقمن هذا الموقف ولكنه ، على ما احسب ، لم يخف.. فانه كان اعزل ، لا سلاح بيده ، ولم يكن منالمعقول انيطلقهلال بندقيته عليه وهو اعزل . كان سؤال صلال لا يزال يرن فى سمعه ، فاجابه عليه بصوت حاول ان يجعله هادئا وان يرفقه بابتسامة :

ـ الى الدبكة.. اما تراني اوقفت السقاية قبل موعدها ؟

فصاح صلال :

ـ احب ان ارافقك ..انترافق الى الدبكة ... ما قولك ؟

فضحك هلال هنا ضحكةمرتفعة، جوفاء ، لا بد انها كانتتعني ان هيئة صلال وبندقيته المصوبة الى صدره لا تعنيان انه راغب حقا فى مرافقته الى حيث يرقص القوم ويمرحون . الا ان صلال اردف يقول بصوتحاد:

ـ نعم والله ، احب انترافق الى هناك ، على ان تسير انت امامي . ولكن اسمع مني كلمةقبل ان تمشي: الق كوفيتك وعقالك عن راسك ، ثم اطرح هذه العباءة عن كتفيك !

فبدا على هلال السالم انه لميفهم



الدكتور عبد السلام العجيلي

•

شيئا مما قاله صاحبه ، لذا فقد ظل واقفا كالمشدوه . غير ان يد صلال تحركت باصبع البندقية حركة من يسوق الرصاصة الىموضع الاطلاق، كما تحرك جسده من مكانه على التلعة منحدرا الى الطريق مقتربا من موقف هلال السالم فيه . وقال:

ـ هل تحسبني امزح ؟ قلت لك ارم عقالك عن رأسك واطرح عباءتك!

ولاح لعيني هلال السالم فى عيني صلال بريق اشد مضاء من لهجة الامر فى كلامه . فمد يده الى رأسه ينزع عنه غطاءه وتخلص من عباءته فالقاها وراءه . وقال :

ـ ماذا تقصد من هذا يا صلال؟. وتقول اننا سنذهب الى الدبكة معا؟!

فقال صلال :

ـ لا زلت اقول ذلك .. ولكن ليس قبل ان تنزع عنك كل ثيابك وتتعرى ... تتعرى كما ولدتكامك!

فصاح هلال محنقا :

ـصلال ؟!

دوى حينذاك صوت صلال بضحكة مجلجلة وقال :

ـ نعم تتعرى كما ولدتك امك .. وتدخل الدبكة امامي عاريا ..

فصعد الدم حينذاك فائرا الى راس هلال السالم . ولكن عينيه كانتا تتطلعان الى فوهة البندقية التي اصبحت قريبة منه ، مصوبة الى صدره ، وصاحبها المحنق يشد باصبعه على زنادها . فانكسرت لهجته واكتسى صوته بنبرة عتاب وهو يقول :

ـ اهذا فعل رجال يا صلال ؟.. كيف ترضى ان امشي بين النساء والرجال فى هذه الهيئة المخزية ؟!

فلم يجب صلال الا بكلمة واحدة:

ـ تعر !

فعاد هلال ، كالمتوسل ، يقول :

ـ الله الله بي يا رجل . ان شئت فلك كل ما املكه واعفني مما تطلبه. انخود هناك ، بينالنساء ..اتفضحني امامها ؟... الموت ولا هذا !

فقال صلال بلهجة باردة ولكنها تنطق بالتصميم :

ـ اذن ستموت والله . اخلع ثيابك كلها .. فانا اريد ان ترى خطيبتك بعينيها اي رجل سيضمها بيته . انت تتردد .. اذن خذ هذه!

وانطلقت رصاصة استقرت بين قدمي هلال السالم . وكان الوقت اصيلا ، وانغام مزمار الشاعر تصل واضحة الى مسامع هلال السالم ، وكذلك ضربات اقدام الدابكين وهي ترجالارض تحتهاوتثير الترابحولها. وكان صوت المنادي يرتفع ،فىالدبكة، بالشوباش وتلعلع بين الحين والحين فى الجو اطلاقات رصاص لم تكن فى

دويها كالرصاصة التي استقرت بين قدمي هلال والتي اخرس التراب صوتها . فخلع هلال السالم كل ثيابه حتى اصبح عاريا ... وسار ، في ضياء الاصيل ، يمشي امام صلال حتى بلغا حلقة الدبكة . هناك كان الصبيان والصبايا ، والفتيان والفتيات ، والكهول والشابات من النساء ، والشيوخ العجائز ، كانوا كلهم بين دابك ومتطلع .. وكانت بينهم خود خطيبة هلال السالم الذي دخل ساحة الدبكة عاريا ، كما ولدته امه !..

وما جرى بعد ذلك جرى بعد بضعة ايام من يوم التعرية هذا . في خلال تلك الايام القليلة قال هلال لاهله الادنين ان يبعدوا بانفسهم وبمضاربهم ومواشيهم عن هذه القرية التي فضح فيها فضيحته الشائنة . وان يلتمسوا في القرى الاخرى جيرانا ذوي شأن وعزة . حتى اذا اصبح كل من يطلب بجريرته في مأمن تسلل هو ، هلال السالم ، في ذات ليلة ، وفي احلك ساعات تلك الليلة ظلاما ، الى مضرب صلال والى جناح العيال من ذلك المضرب ، حتى بلغ من ذلك الجناح فراش صلال نفسه.

كان صلال نائما في فراشه ، والى جانبه زوجته الشابة . لا بد من انه كان نائما قرير العين بانتقامه الفريد ، الذي تحدثت به الركبان ، لكلمة السوء التي تلفظ بها ذات يوم امامه هلال السالم .. هلال الفلاح الذي لا شأن يذكر لعشيرته امام شأن اسرة صلال . لكزه هلال السالم بفوهة البندقية التي كان يحملها فتململ قليلا في الاول ، ثم ما لبث ان ادار رأسه وفتح عينيه متلمسا الرؤية في سواد الظل الذي كان يخيم فوقه . قال وكأن المباغتة قد بعثرت غيمة الرقاد الثقيلة عن ادراكه :

— من ؟.. من انت ؟

فحسر هلال السالم لثامه عن وجهه ، وكان ذلك عبثا فما كان صلال ليستطيع ان يميز تقاطيع وجهه في الظلمة الدامسة ، وقال :

— انا هلال !

ثم اطلق ، في مكان القلب من صدر صلال ، رصاصة كان صوتها الكامد يشبه كثيرا صوت تلك التي اطلقت منذ ايام بين قدميه في الطريق المترب الذي يمتد بين حقله وبين ساحة الدبكة ..

* * *

— هذا مخيف ، ولكنه .. ماذا اقول ؟ اكاد اقول ان في هذا التصرف بعض العدل . حكاية قاسية ولكن مضمونها عادل . ان اذلالا مثل الذي اوقعه ذلك السيد بالفلاح يغتفر جرما مثل الذي اوقعه الفلاح بالسيد . لو كنت قاضيا لنال مني صاحبك هلال السالم كل الرأفة .

— ولو كنت قاضيا ماذا كنت تفعل بفانوش ؟

— من هذا ؟

— فانوش بن علاص الخشمان ..

— كنت حكمت عليه بالسجن مدى الحياة لانه ارتضى لنفسه مثل هذا الاسم . بل لعلي كنت حكمت اباه بهذا ، فهو الذي اصطنع لابنه اسمه ذاك .

— واذا قلت لك ان فانوش قتل اباه ؟!

— يا لطيف !... ما اقساكم ايها الناس ! لا اظن ان استنكار فانوش لاسمه يصل به الى حد ارتكاب هذه الجريمة .. او لهذا دخل بقصص التعرية كذلك ؟

— نعم ، الا انها تعرية من نوع اخر . حين كنت صغيرا كان يقال لي ان هذا الرجل ، فانوش ، وقد كنت اراه يراجع عمي في قضية تتعلق بحدود ارض مشتركة بينهما ، كان يقال لي انه قتل اباه . تصور ماذا كان شعوري نحوه حينذاك . شعور بالكره الممزوج بالاحتقار ممزوج بالخوف .. انسان يقتل اباه ! ولكن اسمع حكاية قتل فانوش لابيه ، كما سمعتها انا بعد ان شببت وصرت قادرا على ان استفهم عن تلك الحكاية . ذلك اني حين كنت صغيرا كنت لا اجرؤ على السؤال عن ظروف تلك الحادثة المريعة الكريهة ..

في الصيف بعد ان يؤوب افراد قبيلة فانوش من عرض البادية التي استنفدت مواشيهم ربيعها الى شاطىء النهر ، يستبدل الناس اخبية الشعر باكواخ موقتة واسعة يسمونها سيابيط ، يصنعون حوائطها واسقفها من نبات السوس الاخضر ، الثخين الظل ، الذي يرد الشمس ويسمح للريح ان تتخلله حاملة معها البرد والرطوبة . وقد عاد فانوش في احد الايام من المدينة الى قريته المؤلفة من اكواخ السوس هذه ، فبلغها قبل مغيب الشمس . وحين اصبح في اطراف القرية احس بان الجو الذي يلفها غير عادي . كان للقرية في كل مساء ضوضاء هي مزيج من تنادي الاطفال وصيحات النسوة واصوات الدواب في اوبتها من الحقول ، ينتهرها الرجال من ورائها وتنبحها الكلاب من كل جانب ، تلف كل ذلك غبرة تصطبغ بالسواد من ادخنة نار المخابز وبالشقرة من وهج اشعة اخر النهار .. ولكن كل ذلك كان غائبا في هذا المساء عن عيني فانوش ومسامعه ، غائبا او متضائلا حتى الغياب . فوجف قلب فانوش ، واسرع بالخطو الى سيباط اهله وهو لا يدري اهو سكون عارض هذا الذي يلف القرية ، قد جسمه له وهمه ، ام ان شيئا ما ، شيئا غير مألوف قد جمد كل حركة في القرية .. حتى الكلاب اسكتها عن النباح . وارسل بصره متنقلا به بين السيابيط باحثا عن رجل من اقاربه ، وكل اهل القرية اقارب له ، يطمئن بمجرد مرآه عن حال الناس في القرية . ولكن عينه لم تثبت منهم رجلا واحدا .. لا ولم تقع على صبي واحد . نعم لقد لاحت له بضعة شخوص ، شخوص قليلة ، ولكنها كلها من النساء !

وفجأة شقت السكون صرخة حادة من امراة تلتها صرخة اخرى تتابعت بها الصرخات ، وكلها من حناجر

نسوية ، حتى اصبحت عويلا اهتاج نباح الكلاب ثم ثغاء الشاء وخوار البقر وصهيل الخيل ، من كل جانب من جوانب القرية . واستمرت هذه الاصوات المنذرة بالشؤم برهة تلاها دوي طلقتين ناريتين متتابعتين دوتا جوفاين في جو الغروب كأنما اطلقتا عاليا في الفضاء .. فسكتت لهما كل الاصوات المعولة عدا نباح كلب انقلب الى عواء مرعب، زاد من وجيب قلب فانوش ومن احساسه بالخطر . فخرط حينئذ بندقيته عن كتفه ، والقمها رصاصة ، وتقدم يتجاذبه الاندفاع والتخوف متسللا بين السيابيط الخارجية حتى اشرف من وراء احدها على ساحة القرية. ومن هناك لاح له ، في اقصى الساحة ، سيباط اهله حيث كان يقيم ابوه وزوجتاه ، الكبرى ام فانوش والصغرى التي لم تدخل في عصمته ، عصمة علاص الخشمان ابي فانوش، الا منذ اسابيع قليلة ..

كانت ساحة القرية ، حين ادار فانوش بصره يجوس به خلالها ، خالية . وامام اكواخ السوس التي كانت تحيط بتلك الساحة كانت جماعة من النساء يتدافعن ، يتقدمن نحو قلب الساحة ويتراجعن . نعم، لم يكن في كل القرية انسان مرئي الا النساء ، والا رجل واحد وقعت عين فانوش عليه واقفا امام سيباط اهله ، بل كان قاعدا امام ذلك السيباط ، ثانيا ركبته على الارض ممسكا ببندقيته في وضع التصويب واصبعه على زنادها ، هو ابوه . ابو فانوش نفسه .

وقف فانوش يتطلع من بعيد الى ابيه لا يدري ما الذي افرده من دون رجال القرية بالوجود بين النساء . وسمعه يصرخ بصوت مبحوح ما لم يفهمه من الكلام ، تلاه دوي انطلق من فوهة بندقيته تدافعت له النسوة الى زاوية من الساحة ، فانحسر جمعهن عن شبح برز من بينهن غريبا . كان شبحا عاريا . فأحس فانوش بمثل اللطمة تقع حادة على خده ، وبمثل النار يسفع لهبها فجاة وجهه . تحرك عنقه براسه ليشيح ببصره عن مراى ذلك الشبح . الا انه احس كأن يدا فولاذية الاصابع امسكت براسه فثبتته على عنقه وثبتت عينيه في محجريهما متطلعتين من اعماق وقبيهما الى تلك التي كانت تثب في قلب الساحة عارية ، تلك المراة العارية !.. نعم ، لقد كانت امراة عارية ، عارية عري حواء في دارها الاولى! كلما توقفت عن الركض انطلقت رصاصة من بندقية ابي فانوش ففرقت عنها النساء التي تجمعن حولها محاولات ستر عريها ، وبعثت بها من جديد تعدو في ساحة القرية المقفرة ، الجرداء ، الواسعة ، التي تنصب عليها اشعة شمس المغيب فتجلو ملامح ذلك الجسد العاري لكل عين ناظرة ...

من كانت تلك العارية التي تدور كالمخبولة في ساحة القرية ؟! الرجال، الذين لم تقع عين فانوش على واحد منهم ، دخلوا سيابيطهم واداروا رؤوسهم لئلا تقع ابصارهم على مراى تلك المفضوحة . اما النساء فكن بين ان يدرن رؤوسهن عن منظر العريانة وبين ان يتقدمن اليها يحاولن سترها باحتضانها او بالقاء الثياب عليها ، الا ان ايمان ابي فانوش كانت تلاحقهن بانه قاتل من يقترب منها ، وقاتل لها اذا لم تظل تركض في ساحة القرية ، تركض هكذا مجردة من كل رداء لها ، الى ان يكتفي هو ويشتفي هو من اذلالها .. لقد كان ذلك الرجل مجنونا، جديرا بأن يبر بأيمانه الفاجرة تلك ، ومن لم يصدق ارجعته الى الصواب الرصاصات المتلاحقة التي كان يطلقها من بندقيته . فما كان على تلك المسكينة الا ان تركض وتركض .. تركض وهي تنتحب .. وتركض وهي حائرة لا تعرف اين تضع يديها : اتستر بهما رقاع جسدها المفضوح ، اتمدهما الى ظالمها متوسلة اليه ان يرحم ذلها وعارها ، اترفعهما الى الله تستجير به وتستعديه على هذا الوحش الفاجر ؟! لقد كانت تركض كأن سياطا تلهب جسدها . وحين عثرت قدمها فوقعت ارضا كانت اقرب ما تكون الى فانوش وهو في موقفه وراء السيباط الذي وصل اليه في اشرافه على ساحة القرية ..

راى فانوش ، في موقفه ذاك، المراة العارية تلوي بعنقها متطلعة الى جلادها الذي كان يريدها على ان تركض من جديد. وراها تزيح ذوائب شعرها المحاول لتبين تقاطيع وجهها الذي كانت تتسايل عليه الدموع . وراها بعدئذ تدير وجهها اليه ، اليه هو فانوش ، حتى لقد خيل اليه، على بعد ما بينهما ، انها اثبتت حدقتيها في حدقتيه . حينئذ ، حين تبين محياها واثبت نظرتها ، ثنى على الارض ركبته ، وسدد بندقيته واطلق من تلك البندقية الرصاصات الخمس التي كانت في مشطها ،والتي اصابت واحدة منها ، في المقتل ، اباه .... ابا فانوش بن علاص الخشمان!

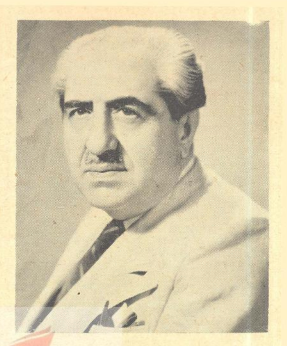
قد تكون حدست لم فعل فانوش بأبيه ما فعل ... ذلك لان تلك المراة العارية كانت ام فانوش ...

. . . . —

— سألتك ماذا كنت تفعل بفانوش هذا لو كنت قاضيا ؟

. . . . —

الرقة — عبد السلام العجيلي



الفقيد خليل مردم بك

خليل مردم شاعر ام مصور ؟

بقلم عبد الغني العطري

اجيال تمر وقرون تنطوي ، وشعر هذا الانسان باق فى فم الزمن ، اغرودة يرددها الاباء ، ويهتف بها الابناء ، وينقل عنها الواحا ناطقة مفصحة ، كل رسام بارع ، وكل مصور مفن ، وكل مثال اتقن صناعته وخلق فى عالم النحت.

وليس عجبا ان ينقل رسام صوره عن شاعر مضى ، وليس غريبا ان يصنع نحات تماثيله نقلا عن كلام موزون مقفى ، اتقن صاحبه رسمه على الورق ، فلم يدع زاوية الا صورها ، ولا ظلا تحتاجه الا اضفاه على صورته ، حتى غدت وهي على الورق ، صورة تكاد تراها العين او تمثالا توشك ان تلمسه اليد .

لقد اراد فقيد الشعر المرحوم خليل مردم بك ان يقول شعرا ، فكان مصورا وكان مثالا ، تحس بصوره تكاد تنطق ، وتماثيله توشك ان تلمسها اليد وتراها العين . واذا كانت عدسة المصور المفن تعجز عن نقل صور دقيقة للشمس والبحر ، والبرق ، والزنبق ، والغوطة ، والفراشتين والطفل ، والسكران والسكرى ، والرقص وغيرها .. فان شاعرنا المجلي لم يعجزه نقل هذه الصور ، ولم يفته ان يسجل دقائقها وخفاياها ، وما لا تكاد العين ان تراه من حركاتها ، الا بعد تأمل طويل ، وامعان نظر ثاقب .

وجدير بنا ان نلاحظ ان شاعرنا الخليل لم يكن يقول الشعر ارتجالا . وكل قصيدة من قصائده ، بل كل بيت وكل شطر ، وكل لفظة تشهد وتنادي بان الشاعر قد صاغها ، وتعب فى اختيار ارق لفظ ، واجمل معنى ، واحسن موضع لها . ان صوره تدل على انه عميق النظرة الى الاشياء ، شديد التأمل لما يحيط به من زهر وعطر ، ونهر وطير وربيع . ان الانسان العادي يمر بهذه الاشياء فلا يرى فيها ما يراه الشاعر . وشاعرنا الخالد كان يرى فى هذه الاشياء اكثر مما يراه اي شاعر . ولو امعنا النظر ، واطلنا التأمل فى صوره لراينا ان ان الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك لم يكن مغاليا حين قال عن والده :

واذا وصفت اتيت شيئا معجزا ... فى الخلق والابداع والاتقان
صور تكاد بسحر ما صورته ... لمشاهد تحكي بغير لسان

والصور الشعرية التي يطالعنا بها ديوان خليل مردم بك صور حسية لانفسية ، فقد صور البحر والنهر والغوطة والشمس ، ولم يصور نزعات النفس ولا خلجات الضمير. وقد سئل الشاعر عن ذلك فاجاب : « ان صوري الحسية رموز تعبر عن رؤى قلبي ، واحلام نفسي » .

قلت ان فقيد الشعر اراد ان يقول شعرا فكان مصورا وكان مثالا . ودليلي على ذلك ديوانه الكبير ، الذي جاوزت صفحاته الاربعمائة ، ولا سيما ما كان منه وصفا خالصا للطبيعة والفن ، ففي هذا القسم يحار الناقد فى اختيار الدليل على ما ذكرت ، اذ يجد فى كل قصيدة صورا والواحا يصح ان تكون دليلا على ان الشاعر مصور بارع ومثال علوي النفحة. ولنلق نظرة تأمل على وصفه للبحر حين يقول:

مع ما فى صدره من سعة ... شرس الخلق اخو حمق حرون
هل عراه طائف من جنة ... ليت شعري ام به مس جنون
بينما التيار يعلو جبلا ... اذ به واد يهول المبصرين
اترى امواجه انفاسه ... رددت بين شهيق وانين
لم تكن الا كشعب ثائر ... شنها حربا على المستعمرين
جحفل يركب منها جحفلا ... يتعادى كجنود زاحفين
نفخت فى وجهه ريح الصبا ... فعلاه مثل تغضين الجبين

ارايت كيف شبه البحر بانسان واسع الصدر ، ولكنه متناقض مع نفسه تناقضا غريبا ، لانه « شرس الخلق اخو حمق حرون » ، فتياره يعلو حتى يحاكي الجبل .. ولكنه يتحول فجأة الى واد يهول المبصرين . وبعد ان افاض الشاعر فى وصف البحر ثائرا ، انتقل الى وصفه هادئا ساكنا ، فقال ان ريح الصبا نفخت فى وجهه ، فبات ذلك

الوجه ذا غضون ، مثل جبين جاوز صاحبه سن الشباب .

واذا ما تركنا البحر هائجا او هادئا ، وانتقلنا الى قصيدة « الطفل » طالعتنا اروع صورة يمكن ان تسجلها ريشة رسام بارع . لنستمع اليه يقول فى وصف الطفل :

هش لما طفلته(١) امه   ودنا من وجهها بالراحتين
حار ما بينهما شوقهما   قبلة تجزيه عنها قبلتين
واذا ما عبست فى وجهه   عبثا ، او دفعته باليدين
جمع الانف وضم الشفتين   وزوى اللحظ وبين الحاجبين
وجرت مع نفسيه غنة   ولوى الجيد وهز المنكبين
وبدا الغيظ ولو دافعه   والحيا فى وجهه ممتزجين

ترى لو اراد رسام او مثال مهما سما فنه وعلا كعبه فى الرسم والنحت ، ان يصور هذه الانفعالات التي تبدو على وجه الطفل فى لحظات الانشراح ، وفترات الغضب اتراه يستطيع ؟. انا اجزم بان صورة هذا الطفل ، بعد ان عبست به امه دعابة له ولهوا ، ثم دفعته بعيدا بيديها ، فجمع انفه ، وضم شفتيه ، وزوى لحظه وحاجبيه ، ثم شهق شهقات صغيرة لها غنة خاصة ، ولوى عنقه وهز كتفيه ، انا اجزم بأن هذه الصورةفى قالبها الشعري ،تعجز كل رسام او مثال عن اخراجها رسما على الورق ، او نحتا على الحجر ، بل تعجز اي كاتب او شاعر عن محاكاتها . ان الصورة كما ترى مفرطة الدقة ، بالغة الروعة ، تثبت لنا ان عدسة الشاعر،لا تدانيها عدسة مصور او شاعر اخر .

واذا طاب لنا ان ننتقل الى لون اخر من الوان الوصف عند خليل مردم بك ، طالعتنا تحفته الرائعة « الرقص » ففي هذه القصيدة صورة كاملة لحفلة راقصة شهدها الشاعر ، ولم يكن عنها راضيا ، لان الرقص لهو ولعب ، وكل صعب يهون فيه ، وعسير الامر فيه كاليسير ... بدا الشاعر قصيدته فقال :

نفخ الصور فهبوا مسرعين   مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين   من رأى سرب مها حول غدير

فلما انتهى من وصف قيام الراقصين والراقصات الى الحلبة ، انثنى الى الفتاة الراقصة ، فوصف فتنة مقلتيها، واعتدال قدها ، وجيدها التليع ، وتسريحة شعرها . ووصف بعد ذلك ثوبها الذي يستر من جسدها بقدر ما يفضح ... ثم وصف فتاها الراقص ، فاشار الى حسنه ، وغمز من تخنثه، حتى كاد لا يميزه من النساء لولا ثيابه.. فلما انتهى من ذلك قال :

كل الفين انضوى شملهما   اقبلا فاعتنقا اي اعتناق
لو صببت الماء ما بينهما   لم يكد يخلص من فرط اعتلاق
علقت كف بكف منهما   شركا واختلفت ساق وساق
ودنا الخدان من بعضهما   حينما الجيدان هما بالتلاق

(١) طفّلته بمعنى لاطفته

وعلى الانغام كانت لهما   خطوات باتزان واتساق
رقصا شتى ضروب وفنون   من دبيب خافت او ذي صرير
بينما عومهما عوم السفين   اذ هما بالحجل كالطير الكسير

خلت ثدييها اليه انتقلا   فرط الحاح بضم واقتراب
لم اجد صدر فتى قد حملا   قبله فيما مضى نهدي كعاب
كيف ترجو صحو من قد ثملا   بمدام وغرام وشباب ؟

هكذا وصف شاعرنا الراقصين ، وهكذا حلق وابدع واجاد . ولو اراد اي مصور او نحات ان يخرج هذه الصورة الكاملة فى لوحة او تمثال لما اعجزه ذلك ، دون ان يستعين بشيء من خياله ، او يستند الى قليل من معلوماته . ومن العبث ان نتكلم عن هذه الصورة او نعرض لها بتحليل ، فهي وحدها ابلغ من اي كلام ، واوفى من اي تحليل . على انه لابد من الاشارة الى ان الشعر هنا يسمو عن الوصف ، حتى يبلغ حد التصوير الكامل ، ولا سيما حين نتابع القصيدة ، ونشم امتزاج النفسين ،ونكاد نذوق طعمهما المعسول ، ونحس تباريح الهوى ، واشتعال الرغبة فى الصدور . ويمضي الشاعر بعد ذلك فى وصف الانوار الخافتة وبهرة الرقص التي « الفت ما بين ازواج الحمام » . فاذا ما انتهى الفصل ، اشتد التصفيق بحماسة والحاح كي يستانف العزف . ويمضي شاعرنا فى وصف حفلة الرقص ، حتى يلج الاعياء بالراقصين والراقصات، ويصبح كل عضو بين راقصين مشاعا لهما ، فيستند الى يدها ، وتعتمد على عاتقه . ويأبى الشاعر ان يختتم قصيدته قبل ان يندد بالرقص ويتهكم برياضة الرقص ، التي تسهل كل صعب ، وتنقل الامر من هزل الى جد .

ولو اردنا ان نقف عند كل قصيدة وصفية رائعة من قصائد الخليل لطال بنا الوقوف ، وضاق الوقت . على انه لا بد من الاشارة الى ان قصائد البرق ، والشمس ، والزنبق ، والفراشتين ، والورقاء ، وسكران وسكرى ، وبردى ، والغوطة ، ودمشق ، تمتاز عن غيرها بصور بالغة الحسن ، ومعان تكاد تكون جديدة مبتكرة . ولا غنية لنا من اشارة قصيرة الى قصيدة « بردى » التي وصف بها نهردمشق، فصوره واضفى على صورته هذه الوانموفورة الجمال ، بالغة الحسن ، حتى اكاد اجزم بان هذا النهر لم يوصف ولم يصور من قبل كما وصفه وصوره خليل مردم بك .

بقي ان نقف وقفة اخيرة عند غوطة دمشق، هذه الغوطة التي احبها استاذنا الشاعر حبا ملك عليه نفسه . وكانت احب ساعة اليه ، تلك التي يستطيع فيها ان يذهب الى الغوطة ، ويمتع ناظريه بازهارها المتفتحة ، واطيارها المغردة ، وجداولها المصفقة ، واشجارها المتعانقة ، فيجول بخطوات وئيدة هناك ، يستلهم صور الجمال ، ويروي ظمأه من الطبيعة الضاحكة . وصف شاعرنا الخليل غوطة

... غريب !

من ديوان « الموجة الزرقاء » يصدر قريبا

* * *

لا تظني انـي اغني .. انا ذكـرى لحون جفت بقلب الغدير
لا تظني اني اغني .. انـا رب هوى مـن عروشه للهجيـر
مات ذاك الصبي .. قد شرب الليل .. والقى اكوابه فى البكور
غير اني وان تلفعت بالصمت .. واطرقت كالظـلام الضرير
وتغربت فى المجاهل عمـري .. غربة الطير فى المساء الاخير
وتلفت .. !! والطريق حوالي .. مغارات عـالم مهجـور
فالخريف المرير يزحم آفاقي .. ويمتد فى صميم شعوري
لم تزل فوق ساعد النهر . . صفصافتي الحيرى بلا اغصن ولا عصفور
جلدتها الرياح .. زنديقة الغاب .. ودارت علـى بقايا العبير
بعثري يا ظلال .. اهدابك الزرق .. وغطي تابوت عمر قصير
فالستار الحزين ينسدل الان .. على قصة المساء الاخيـر

القـاهرة **محي الـدين فـارس**

دمشق بقصيدة بلغت ابياتها اثنين واربعين بيتا ، وهي وان كانت موجزة بعض الشيء ، ولكنها تعتبر طرفة خـالدة فى وصفها وتشابيهها . قال رحمه الله فى مطلعها :

كـم فى ازاهيـر الريـاض لناظر — مـن مقلـة وسنى وخد ناضر
مـاست اماليد الغصون بوشيها — معطـارة وازينـت بجـواهر
للـه ما صنعت ومـا جاءت بـه — فى الغوطتيـن يد الربيع الباكر
بسطت وثير قطيفة فـوق الثرى — خضراء فيهـا كل لـون زاهر
مـن احمر قان ، واصفر فاقـع — او ازرق زاه ، وابيض سافـر
وكست وحلت سمحـة اشجارها — فجلت عرائسها بوشي فـاخر
معقـودة الاكليـل زهراء الحلى — خفاقـة الاقراط ذات اسـاور
ارخت مـن الظل الظليل غصونها — طررا واذيـالا وفضـل مآزر

ويمضي شاعرنا بعد ذلك فى وصفه فيّحلق ويحلق ،حتى يقف الى جانب البحتري ويضاهي ابن الرومي فى وصفهما ، وما هو فى نظر الناقد المنصف باقل منهما شأنا ، ولا بادنى منهما كعبا . ان خليل مردم بك شاعر فاق الشعراء بصوره وتشابيهه ، فحق لنا ان نتساءل ونحن نرتل بعض قصائده: اتراه شاعر ام مصور ؟.. ولعل اجمل تشابيهه وابلغ صوره ما قاله فى الطبيعة ووصف دمشق ومعالمها من نهر وجبل وواد . ومن خلال هذا الشعر نستطيع ان نحكم بأن شاعرنا كان شاميا متعصبا لشاميته وعروبته . فقد زار كثيرا من بلدان اوروبا ، واقام فى بعضها سنوات ، فلم يهززه جمالها، ولم يثر قريحته ، ولم يلهمه شيئا يقوله . ومن اجل ذلك نقول ان الفجيعة كانت جليلة بشاعرنا العظيم يوم فقدناه فى الحادي والعشرين من تموز سنة ١٩٥٩ وستظل كبيرة فادحة الى ان ينهض من دمشق شاعر يملأ مكانه ، ويسد الفراغ الذي تركـه .

دمشـق **عبـد الغني العطري**

حـوار بـين حسناوين

بقلم مبـارك ابراهيم

اولى الحسناوين هي هيلين اليونانية التي قامت بسببهـا حروب طروادة والاخرى هي مدام دي مانتينون الزوجة الثانية للويس الرابع عشر ملك فرنسا . وقد بعثتهما من مرقدهما وادارت على لسانيهما ما سنذكره من حوار الكاتبة الانكليزية انَّا ليتيتيا ايكين المتوفاة عام ١٨٢٥ وهـــذا هو الحوار :

هيلين : ان الجمال فى العصر الذي عشت انا فيه كـان قوي الاثر الى ابعد المدى فى مختلف النواحي فقولي بربك يا سيدتي ما الذي افقد الجمال سلطانه ؟

مانتينون : اريد اولا ان اقتنع بماتقولين اقتناعا لايعتريه الشك وذلك قبل ان اتقدم بأن اذكر لك سببا .

هيلين : ان هذا شيء يسير كل اليسر فليس علينا ـ انت وانا ـ الا ان نقرأ تاريخنا ونستعيد ما مر بنا من تجارب حتى يستبين قولي . فقد كنت انت جميلة قـد اكتملت لك المحاسن والمحامد وكنت فوق ذلك قريبة الى كـل القلوب . وكنت من اجل هذا قديرة على امتلاك قلـب الرجل وعلى صبه فى القالب الذي تشائين . وكان السعد من خدامك ومواليك . ومن ثم فقد ارتفعت بنفسك من الحضيض الاوهد وارتقيت الى اعلى الـذرى فاصبحت واذا بك زوجة لملك عظيم .

ولكن ما هذا الاثر الذي احدثه جمالك اذا قيس بمـا كان لجمالي من اثر فى نفوس الملوك والامم . فقد اشتعلت بسببي نار حرب دامت عشر سنوات وكان وقودها رجال من اشهر ابطال التاريخ القديم . وكانت الممالك المتنازعة تتقاتل لتظفر احداها بشرف اجلاسي فوق العرش . وقد خلدقصتي ابو الشعراء كلهم وامامهم غير مدافع ، اما مفاتني فقـد انطبعت صورتها فى سجلات التاريخ يتوارثها الابناء عـن الاباء حتى يومنا هذا .

اما انت فقد كنت ـ ولا ريب ـ زوجة للويس الرابـع عشر وكنت مهيبة الجانب لدى رجال حاشيته ولكنك لم تشعلي حربا ولم تثيري قتالا . ولذلك فان تاريخ فرنسا لا يذكرك وان كانت لك من الذكريات ما يملأ يوميات بطانة ملك من الملوك . فهل الحب والاعجاب اللذان ظفرت بهما كأمراة مليحة حسناء يمكن ان يقارنا بما كنت اثيره فـي نفوس المعجبين من حب القتال ليظفروا بي وبما كان لي من سلطان لا حد له على نفوس العظماء وذوي الجاه واصحاب الصيت البعيد فى العصر الذي عشت فيه ؟

مانتينون : كل هذا ايتها العزيزة الغالية هيلين له ما له من البريق واللألأ وله ما له من الاثر البالغ فى نظم قصيدة تصف البطولة والابطال . ولكنك لا شك تخادعين نفسك الى الغاية التي ليس وراءها غاية اذا عزوت كل هذا الـى جمال صورتك وحسب . فهل تحسبين ان نصف الزعماء الذين اكتووا بلظى الحرب كانوا مسحورين بجمالك ام انهم كانوا يشغلون انفسهم بما كنت وبما سوف تكونين لو لم تكن صور المجد تتراءى لهم من قريب او بعيد ؟ وارجـو ان تصدقيني يا سيدتي ان الحب فى قضيتك كان ضئيـل الاثر جدا . وارجو ان تعلمي ان منيلوس كـان يريد ان يقتص لنفسه مما لحقه من اهانة . وان جاممنون كـان مزهوا باسناد القيادة اليه . وان بعض من حاربوا معهم كانوا يشتهون المجد وان بعضهم كانوا يشتهون النهـب والسلب . وان بعضهم كانوا يذودون عن حمى زوجـاتهم اللاتي خلفوهن وراءهم . وان بعضهم كان الامل يداعبهـم بالظفر بالعذارى الجميلات من بنات طروادة . ثم جـاء هوميروس فرأى ان القصة صالحة كل الصلاحية لينظمها قصيدة من احسن القصائد التي تترك فى سمع الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انمله العشر . ومن هنا جـاءت شهرتك ومن هنا ذاع اسمك وشاع . اما اختطافك فقـد اتخذ سببا فى احتدام الوغى ، واما العداوات بين الامتين فقد اججت نارها الحروب المتعاقبة . ولم يكن هـدفها اعادة هيلين الى منيلوس ولكن كان هدفها تدمير طروادة على ايدي الاغريق .

اما انا فان انتصاراتي كانت مصادرها كلها ترجع الي والى الاثر الذي احدثته مواهبي ومفاتني وما كان لسحر تلك المواهب والمفاتن من اثر فى قلب رجل من الرجال .

اما مولدي فقد كان مولد فتاة مغمورة . واما المال فقد كنت لا املك منه الا النزر اليسير ، واما فترة الشباب فقد قضيتها ـ وحالي كما وصفت ـ ثم مشيت بخطى واسعة حتى بلغت تلك المرحلة من العمر التي تفتر فيها العلاقات بين الجنسين . وكان علي ان اقبل دورا مع رجل يعرف كيف يستبي قلوب النساء وكيف يخدعهن عن انفسهن . وكان هذا الرجل ملكا طالت خبرته بالجمال والجميلات . وكان قد اسام سرح اللهو فى ظل حاشية تعرف كيف تجيد صنع اللهو وكيف تحسن اختيار ادواته . وكأنما كان رجال تلك الحاشية قد استنفد الحب والجمال كل مقدرة لهم على ادخال السرور على قلب الملك فباتوا حيارى وبـاتوا غير قـادرين .

وهذا هو الرجل الذي خلبت لبه وجعلته لا يحيد ولا يميل . ولم اقنع بذلك كله ـ وشأني فى ذلك شأن اخواتي من بنات حواء ممن رزقن الفتنة واوتين اسباب الجمال ـ بل لم اقنع بأني اصبحت مالكة قلبه فزدت على ذلك ان جعلته يتخذني زوجة له وناهيك بما فى هذا اللقب مـن تشريـف وتكريـم . .

اما انت فان افتتان باريس بك لم يضف عليك من المجد الا الشيء القليل . وكان باريس هذا فتى طائشا نزقا محبا للهو . وقد افتتن بجمالك فادى بهذا الافتتان الى الحيدة عن كل ما تفرضه قدسيات قوانين الضيافة . وقد اوحى اليه طيشه ونزقه بان يختطفك وان يأبى ان يردك الى زوجك

وانت من ناحيتك قد خدعت باريس فالهيته عن واجبه . اما انا فقد انقذت لويس من مهاوي الرذيلة . ولقد كنت انت حظية الامير الطروادي . اما انا فقد كنت صديقة العاهل الفرنسي وصاحبته ..

هيلين : اني اسلم بانك كنت زوجة للويس ولكنك لم تكوني ملكة لفرنسا . اما هدفك الاكبر فكان ارتقاء سلم المجد . ولم تظفري فى هذه الناحية الا بالكسب اليسير .

اما انا فان الحب كان المسيطر على حياتي وقد ضحيت فى سبيل الحب بكل شيء . ولكن حدثيني بربك الم ابد من امارات السحر ما جعل مينيلوس يسعى جهده ليظفر بي مرة اخرى بعد تدمير طروادة ؟

مانتينون : هذا الظرف وحده كاف لان يبين لك انه لم يكن يحبك الا حبا خلا من الرقة والظرف . فقد اتخذ منك قينة يملكها ثم استرجعك وكأنك غنيمة من الغنائم قد استردها . ولم يكن يسيطر عليه ذلك الاحساس الذي يجعله يحسب حسابا لقلبك ايملكه ام يتركه .

وان الابطال فى زمنك كانوا سواء فى الافتتان بالجمال وكانوا كثيرا ما يقتتلون على امتلاك ذلك الجمال ولكن كانت تعوزهم الرقة الكافية التي تجعلهم قادرين على امتلاك ناصية العاطفة النقية او الهوى العذب .

وهل تحسبين ذلك العصر يعد من العصور التي كان ينتصر فيها الحب والتظرف الى النساء . وهو العصر الذي كان يجمع الناس فيه بين امراة جميلة وبين مائدة ذات ثلاثة ارجل على ان تكونا معا جائزة لمن يظفر فى حلبة المصارعة . وكانت المائدة تحسب النصف الاغلى قيمة فى الجائزة ؟

هيلين : اولى لك ان تقولي انك تجهلين الفرق بين الطبيعة والهوى من ناحية ، وبين اللعب بالالفاظ والغرور من ناحية اخرى والا فنبئيني ــ بحقي عليك ــ ايستطيع المزاج البارد الذي نشهده فى فرنسا ان يعلم الاقوام اليونانيين كيف يعشقون ؟ ان البلاد اليونانية هي مهد الجمال ومسرحه . وهي التي الهمت الشعراء كيف ينظمون القصيد وذلك بفضل اعتدال هوائها وصفاء سمائها . تلك السماء التي تلتهم القلوب وتقودها الى طريق الحب المنسق الحلو النغم ! ونبئيني مرة اخرى ــ بحقي عليك ــ اكانت اليونان يوما موطنا للبرابرة الجناة الغلاظ القلوب ؟ واذكري ــ ان استطعت ــ حادثة واحدة تجلى فيها اثر الجمال فى صورة ابهى وازهى مما بدا على وجوه الشيوخ اليونانيين يوم فتنتهم صورتي فملات نفوسهم اعجابا حتى لم يستطيعوا ان يلوموا انفسهم على اشتعال نيران الحرب من اجلي وهي تلك الحرب التي كادت تودي ببلادهم . فقد رأيت مما قصصته عليك اني قد كنت فتنة للشيوخ كما قد كنت فتنة للشبان ..

مانتينون : ولكني انا فتنت الشباب يوم ولى شبابي . ولقد كنت معبودة القوم فى عاصمة كبرى حيث البذخ والابهة والذوق الحسن كانت كلها قد اوفت على الغاية وقد كان يحتفي بي اذكى اذكياء عصري وحتى لقد انتقلت رسائلي التي دبجتها من الاباء الى الابناء الى الحفدة ..

هيلين : بعد هذا قولي واصدقيني القول اكنت جد سعيدة بما وصلت اليه من جاه عظيم ؟

مانتينون : الله يعلم اني كنت جد شقية . ولقد تمنيت الف مرة ومرة ان لو عدت الى العيش مرة اخرى مع زوجي السابق الشاعر سكارون . وهو وان كان ــ والحق لا ينكر ــ قبيح الشكل دميم الخلقة مع فقر فى المال والجاه فانه كان ــ والحق لا ينكر ــ سمح الخلق ، رضي الطبع ، محمود السجايا ، وكان لصاحبه خير سمير وجليس . فقد كنا نرقص معا ، ونضحك معا ، ونغني معا . وكنت ابادله الحديث فى غير خوف او حذر . اما مع لويس الملك فقد كان الجو مشبعا بالقتامة والكآبة ومليئا بالتحرز والخنوع . وقد ساءت طباع الملك فى اخريات ايامه بما توالى عليه من الوان الفشل وكنت دائما ارى نفسي مجبرة على ان اجتلب له السرور اجتلابا . والسرور يومئذ عندي بضاعة لا املك لنفسي منها مثقال ذرة . ولويس هو ذلك الرجل الذي تعود من دهره كل الوان المداهنة والملق .

وانا وان كنت قد اوتيت حظا عظيما من الفطنة فأن مواهبي كلها كانت وقفا على ادخال السرور الى نفس الملك . وهي حالة تجعل العقل بعيدا عن اسباب السعادة والطمانينة . وكنت احذر دائما ان امد يد المعونة لاصدقائي كما كنت احذر دائما ان ينال خصومي واعدائي العقاب . اما تلاميذي فى مدرسة سان سير فقد كانوا اقل اعتزالا للناس مما كنت وانا فى ظل الحاشية الملكية . وكنت لا ارى بريقا من الهناءة والسعادة الا فى العمل والا فى تلاوة الادعية ومدارسة كتب الصلوات .

هيلين : اني آسفة ان اقول انه من اجل ما قصصته علي ارى ان لا يتمنى المرء ابدا ان يتزوج ملكا من الملوك .

مانتينون : ولكن قولي لي يا هيلين ــ متفضلة مشكورة ــ اكنت حقا جميلة الى ذلك الحد الذي اشتهرت به ، ذلك لان الحق والحق اقول اني لست ارى فى صورتك ذلك الجمال الذي اقام الدنيا واقعدها قتالا وحربا تسع سنوات كاملة

هيلين : اقسم لك لغير حائثة اني ما كنت جميلة ابدا . بل لقد كنت من غير ذوات الحسب . وكنت ذات سحنة لوحتها الشمس ولكني اوتيت القدرة على الاسعاد . وهذا كل ما فى الامر . واني لجد ممتنة للشاعر هوميروس .

مانتينون : وهل عشت حقا عيشا هانئا مع منيلوس بعد كل ما مر بك من مخاطرات ؟

حطام قلب

مات قلبي ، فلست ـ بعد ابالي   بهوانا ، ولا بذاك الدلال
مات قلبي ، فابكي عليه دماء   واندبي فتنة العهود الخوالي
كفنيه بالورد ، بالامل المذبوح طفلا ، بالذكريات الغوالي
وانثري فوقه عواطفنا الحرى ، ورعشاتنا بطيب الوصال
ثم طوفي حول الضريح ، وناجي الحب فيه ، بلهفة وابتهال
« يا قتيل الحرمان ، والقدر ، والاقدار ، تقسو عليك بالاغلال »
واركعي قربه ، وصلي لاجلي   واسالي الله عفوه عن ضلالي

قد قتلت الحب الطهور ، وقلبي   بين كفيك ناضر الامال
كان حبي ـ وارحمتاه لحبي ـ   حلما خالدا ببال الليالي
كان حبي طهر الملائكة الابرار ، حلى براءة الاطفال
نفحات من السماء ، وطوفان شعوري ، ورعشة الاوصال
وانفساح الامال فى روعة الفجر ، يشع الفتون فوق التلال
يغمر الكون بالضياء ، وبالحسن ، ويلقي مذهبات الظلال
ويبث الحياة فى كل شيء   والجمال الفريد فى كل حال
وهو اليوم حشرجات قتيل   ورؤى الشمس جنحت للزوال
عبثا تلهبين جذوة حسي   وغرامي ، او توقظين خيالي
طبقات الجليد تغمر احساسي ، ونفسي ، والموت فى تمثالي
لا ارى فيك فتنة تسحر القلب ، ولا صورة لسامي الجمال
والفتون المغناج ظل ثقيل   والكلام الرشيق آي الخبال
كل ما فيك بارد ، فقد الروح ، دميم ، لا يستثير انفعالي
يسخر الفكر من ضلال شبابي   كيف الفى لديك رمز الكمال
ويح وهمي ، يا للضلال عليه   افتح العين ، يا لمر السؤال
عالم السحر قد تكشف صحراء ، وفيها ضللت بين الرمال
ليس الا الرماد من سورة الحب ، بكفي ، بعد السنين الطوال
لم يعد للحياة عندي معنى   فافعلي ما اردت ، لست ابالي

حمص   شكري هلال

هيلين : كنت هانئة كما يمكن ان تكون الهناءة فى هذه الدنيا . فقد كان منيلوس كريم السجايا وكان رب بيت وكان يسره ان يجلس فى عقر داره وان يقضي ايامه هادىء البال . وقد ادخلت فى روعه ان الزهرة والاقدار كانت السبب فيما انتابني من اضطراب فصدقني تصديق المؤمنين . وفضلا عن ذلك فاني لم اكن آسفة على ان اعود الى موطني ذلك ــ وهذا كلام ارجو ان تجعليه فى موضع السر منك ــ ذلك لان باريس قد كان يخونني قبل موته بزمن طويل وكان مغرما بفتاة طروادية سمراء كانت مهمتها ان تحمل ذيل فستاني . وكان مع ذلك يرى انه مما ينافي الشرف ان يتخلى عني . ولقد بدات يومئذ ارى ان الحب هو شعبة من الجنون حقا ثم اصبحت ربة بيت من احسن ربات البيوت فكنت طوال حروب طروادة اقضي نهاري فى نسج الطنافس وكنت ومعي جواري نعمل ونحن الى جوار منيلوس وقد كان مطمئنا الى سلوكي وكان هو من ناحيته ذا خلق كريم . وكان يبدي لي من الوان المودة ما يثلج الصدر ويبهج القلب . واني لارى حقا ان تلك الحقبة كانت اسعد الحقب فى حياتي .

مانتينون : هذا اقرب الاشياء الى الواقع . ولكن اشد النساء خمول ذكر فى بلاد اليونان كانت تستطيع ان تنافسك فيما كنت تحسبينه عيشا رغيدا .

والان فاني استودعك الله وداعا لا لقاء بعده ، فلقد اقنعتني كيف يكون القليل من الشهرة والقليل من العظمة سببين من الاسباب المؤدية الى السعادة ...

القاهرة   مبارك ابراهيم

ووقفت يده امام عينيها ، وسمعته يقول وهو يحدق بها ساخرا :

ـ بداخل قبضتي يتحرك مكعبان صغيران ، منقوش على كل وجه منهما، نقاط سوداء ، اني احركهما داخل قبضتي بحماس ، وابتسم لهما قبل ان اقذفهما من جديد .

—

ـ لقد تبين لك بدون شك ، اني لاعب ماهر ، لم اقصد اول الامر ان اربحك ، انك فريسة سهلة ، ولكن فجأة ابتسم شيطان بداخلي ،جعلني احمس الزهر ، لانه صديقي ، لاننا نتفاهم ، وبدات اربح ، وبدات تشتعل فى وجنتيك حمرة الغضب ، فاشفقت عليك وها انا اتوقف ، لاصارحك بالامر، اطيلي النظر هكذا، انك جميلة اعني لا بأس بك ابدا ، ولكن الانظار تحدق بنا فى هذه الحديقة ، لقد كنا مجال اهتمام الجالسين ، تعجبوا من امرنا ، ثم الفونا ، وحين توقفنا ، توقفوا معنا ليشاهدونا ، لا تنظري اليهم ، انهم فى اشد الملل ، فلا الرجال منصرفون تماما الى اراكيلهم ولا النساء الى قطع التطريز ، لقد كنا مجالا للابتعاد بهم عن الملل ،فدعيهم .

—

ـ كنت اقول ماذا ؟ انك جميلة ، ولا يغرنك هذا ، فالزهور فى الحديقة اليوم جميلة ، فمن يعلم غدا ؟

—

ـ اغلب الظن انك لم تقابلي بمثل هذا الكلام من قبل ، ذلك ان اكثرهم جبان ، يخشى ان يتحدث بما يجول فى خاطره ، اما انا فلم اعد اخشى شيئا ، حتى الموت ، لا يخيفني .

—

ـ اتحدث الان امامك وكاني اواجه نفسي ، لكبريائي بعض العزاء فى انصاتك ، ولكني وان تكلمت هكذا امامك فذلك لا لاسحرك باقوال غريبة عنك ، لاني اعلم بان ما اقوله كلام يتبدد كما تتبدد السحابات الخفيفة من فم الاراكيل ، وان بقي منها لديك شيء ، فسرعان ما تالفين ويأتي يوم تتحدث بما قلته انا ، شفتاك ، اننا خليط ، كل هذه الانسانية خليط اؤكد لك .. الافكار التي تأتينا من طيات كتاب ، مات صاحبه من زمن بعيد ، هذه الافكار تدخل هنا فى راسنا وتجول فيه لتصبح بين عصر وامسية ، أفكارنا نحن ، اين صاحبها؟ لقد خلط معنا ، كلنا خليط فى هذه الانسانية ..

—

ـ انهم عادوا الى مللهم ، الرجال يدخنون والنساء منكبات على قطع التطريز ، لقد تعودوا حديثي ، لقد تعودوا صمتك ، لا تعيريهم التفاتا ، اننا منفردان الان وبقربنا نافورة ماء وفوقنا سماء صافية الزرقة وامامنا

حديقة ونرد

بقلم الانسة رينه عبودي

طاولة نرد وتحيط بنا الاشجار من كل ركن ، ان مرافقك اليوم كئيب ، لا يعرف النظر اليك بسكوت ، لا يعلم كيف يكافىء شبابك الغض ، مرافقك كئيب .

—

ـ حين باشرنا نتقاذف الزهر ، كنت تظنين اني شاب مفتون بك ، تتصرفين بمرح وغنج ، تتوقعين كلمات تؤكد لك وجود الربيع والفرح والحب ، تؤكد لك انتصارك بضم معجب جديد الى زمرة المعجبين بك، ولكن لا يترك الراعي دائما احلامه العذبة تنام قرب الذئب .. لا ، لا تجزعي ، فيوم واحد لا يكفي لانتزاع امالك فى الاوهام الخضر ، فانا راحل عنك ..

—

قصة

ـ كأني بك تودين ان لا ارحل ، تودين لي البقاء معك ، احدثك هذا الحديث الجاف ، الاجوف ، غرورك يخبرك انك قد تتمكنين مني ، ولكني بصراحة انذرك اني لا اعرف الوفاء ، ولذتي فى الحياة مشبعة بالالم ، فلو اني سالقاك غدا وغدا، ما كنت لاجلس اليك الان وكلي اعجاب يقول : انت اروع ما خلق الله .

—

ـ ان وجيز هذا اللقاء يقويه ، يغلفه بالسحر ، بالحماس ، لو كانت حياتنا خلودا لكان لقاؤنا معها ، لقاء فيه نفور ، من اول لحظة ، ولكن النهاية المحتومة تجعل لذة لكل شيء

—

ـ حين تعودين الى الحديقة بدوني ستفكرين بهذا الرجل المجنون ،الذي اضاع وقته فى بعث اسطر فى الهواء، ستذكرينه ، شعورك بفقدي وتفقدي غدا ، يؤلف لذتك الان ، لذتك اليوم وانا معك ، انها لذة مرة .

—

ـ ان شعرك بلون الكستناء ، كنت احب الكستناء فى صغري، كنت اعتلي الاشجار واجمع بيدي عشرات منها ، واعود لاوقد النار من الاغصان اليابسة ، واضع عليها غنيمتي ، شعرك بلون الكستناء ، كانت القشرة تئن فوق النار ولكن القلب كان يدفأ ويدفأ ، لا بد ان تمر الكستناء على النار ، لان لاطعم لها قبل ذلك ،يجب ان تعرف كيف تتحمل ، ان القشرة وحدها تحترق ، اما القلب فيصبح اهلا للحياة ، شعرك بلون الكستناء ، كنت اعتلي الاشجار لاجمع منها ، .. نسيت الزهر فى يدي ، اين كنا بالله من اللعبة ؟

ـ ايها الرجل المضحك .

ـ مضحك انا حقا ؟

ـ لاتنظر حولك، الناس منصرفة عنا ، لا احد يؤيدك او لا يؤيد

ـ كان القائي جميلا ، وتأثيري رائعا .

ـ هذا كان فيما مضى .

ـ كيف ؟

ـ حديثك بات كاركيلة ذلك الرجل الذي يدخن بالعادة ، بات كقطعة التطريز التي تحيك بها المرأة وهي تفكر بامر اخر .

ـ

ـ لقد نفذ وفاضك ، انا ذاهبة

ـ تتخلي عني .. لا احد يؤيد . لا احد يصغي .

*

اذا كانت تريد الذهاب فلتذهب، مللت بدوري المكوث فى نفس هذه الحديقة ، مللت هذه الكؤوس الصماء الصامتة ، ارهقت اعصابي بالبحث عن الجديد ، مثلت لها الوف الادوار فتعبت هي وتعبت انا ، وظللنا مصرين مستمرين كأن العادة التي احتقرناها باتت تحتكرنا ، سانصرف من هذا الربيع الاجوف ، ربما يلذ لغيري الجلوس على هذا المقعد ، اما انا فشعر وجهي قد اصبح لحية ، ارى صورتي فى المياه ، فلا اعرف نفسي ، اتراني قديسا اتراني شيطانا ، كنت اتحدث منذ قليل وانا ارى نفسي بعينيها شابا وسيما معقدا رغم البساطة التي يدعيها ، كنت ارى نفسي بعينيها شابا فاتن التقاطيع ، ذكي الحديث ، ساحر البسمة ، وكان هذا احب الادوار الى نفسي ، لطالما عشقتني عشرات الساذجات حين رددته بنغم معين امامهن ، واتبعته بفترة صمت ونظرة حزن كلها دعوة الي ، وكن يقبلن كالفراشات المنورة لاضاءة ظلمة نفسي ، ولكم احببت نفسي ، ولكني وانا اتأمل المياه ، اجد اني كئيب فعلا ، كئيب بشكل مفزع، كآبة لا تحبها الساذجات ، لانها حقيقية ، كنت احب هذا الدور انجح به دائما ، ولكن هذا الكلام يلزمه وجه فاتن ، قوام ممشوق ، قبضة من حديد ، وفجأة ارى شعري رمادا ، اري نفسي ، منتصبا كالابله فى الحديقة .. مضت عني ، الى اين ألجأ ؟ لقد تعودت هذا المكان ، ربما العادة هي التي قتلتني ، صرعت مواهبي .

ولكن لا ، تلك الشجرة بدات معي بدون ان تعي واينعت مثلي وها هي ذاهلة تقف وكأنها تنحني ، ولكن اتراها الشجرة ام ترى الذي اراه ظاي ؟

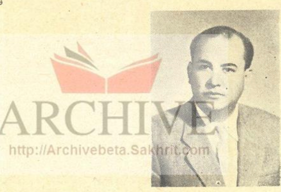
احلامي الان ، ماذا عن احلامي ؟ لا شيء .. فى الافق اقرأ صفحة من ماض ، صفحة من كتابي ، الانسان خليط ، قسم من ذاتي قد عانق هذه الانسانية الازلية .

لقد كانت حبيبتي جميلة ، ولكني نسيت شكل وجهها ، انهن كثيرات ، وربما كان هذا سبب ضياعي .. لقد كانت حبيبتي جميلة ، ذهبت للتو عني ، كانت اغنية حلوة اسميتها : سعادتي .

حلب **رينه عبودي**

الى ذات

الثوب الناري



فــؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

•

الشويفــات

لا تلبسي فستانك الناري
اخشى على زنديك من ناري
وجنون تيــاري !
يا وردة بيضاء طالعة
فى فجر ايــار
يا زنبقا متفتحا عاري
فى شرفة الجار
فى دار من تهفو له داري !

*

يــا ثوبها الناري يا لهبا
مترنحا بحروف اشعاري
يا لون قرميد بضيعتنا
سالت عليه دموع آذار
فرشت عليه الشمس مئزرها
متلمعا كالجـدول الجاري
مترقرقا شـــلال انوار !

*

يا رقة تغري بما تبدي
مــن بعض ازرار
يــا زهر رمان انتفه
بالبــوح ...
قد نتفت اسراري
وكشفت للابصار اغواري
فغدوت اغنيــة بضيعتنا
وحديث سمــار

*

يــا رائـــع الطيات ...
يصرعني هذا الحرير
بطيبــه الساري
بالنمنمات علــى شواطئه
يتلهف ، فى الخصر ، منهــار
فاترك يــدي للفلفلات هنــا
وهنــاك يــا ضوءا
يــؤرقني
يــا حوض ازهار
فى شرفة الجار
فى دار من تهفو له داري !

لحظـــات تأمـــل

بقلم فيكتور روزوف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

يحسب احدنا دائما ان الدروس التي يتعلمها من «عملية» الكتابة تبقى شخصية تماما ، فهي بخصائصها الفرديـة وسماتها الخاصة ، تتنافى والتطبيق العام، ربما هذا صحيح، ولكنني مع ذلك مهتم كل الاهتمام بقراءة كل ما له صلـة بعملية الكتابة ولا سيما بما يدبجه الكتاب انفسهم . وقد تثيرني هذه الكتابات اثارة عميقة احيانا ، واحيانا اجدهـا غريبة عن ذوقي ، وايا ما كان الامر ، فانني اطالعها باهتمام واجدا فيها ذخيرة للتأمل .

وسأحاول ــ فى هذه المقالة ــ ان اعرض ارائي الذاتية عن بعض المشكلات المنبثقة من عملنا آملا ان تكـون ذات فائدة يسيرة او كبيرة . وعلى كل ، فانا اذ آخذ علـى عاتقي هذه المهمة المحتشمة اشعر منذ الان بانني لن انجح، كما يقال، فى التغلغل الى صميم القضايا ذات المساس بعملنا

انني اتكلم بصراحة فى المحافل على اختلاف ميولهــا واتجاهاتها (الفنية) وكلما كنت افعل ذلك كنت اتلقى اسئلة لا تخرج ع ن: كيف حدث لك ان كتبت هذه المسرحية او تلك ؟ ومما انطلقت ؟ وليس من السهل دائما الاجابـة عن مثل هذه الاسئلة . فانت حين تكون قد انهيت كتابـة مسرحية قد تكون نسيت الحافز الاولي الذي هو ولا شك علـة الكتابة باسرها . لقد سمعت مرارا ان الكتاب يعدون هذا الحافز شخصية شاهدوها او محادثة استرقوا السمع اليها ، او عبارة عابرة او حتى كلمة تفوه بها (احدهم) .

اما انا شخصيا فاعتبر الحافز الاولي ــ فى مسرحياتي ــ فكرة تعلقت بذهني متأتية من بعض مظاهر الحياة . وكثيرا ما تسبب هذه الفكرة قلقا فى نفسي على اعتباري فـردا من افراد المجتمع . فقد يسرني شيء مـــما اصادفه فى الحياة ، ويضيرني شيء اخر ، وعندئذ اشرع فى التعجب بما احب وابدأ العمل فى رفع شأنه والحث على الاسراع بانمائه ، اما الشيء الذي امقته فاعمل على اجتثاثه مـــن الحياة جملة وتفصيلا . وهنا لا بد لي من تقديم مثل :

قبل كتابتي مسرحية (الحظ السعيد) بمدة ، لحظت ان الشبان الصغار الذين يكملون دراساتهم (الثانويـة) يريدون الالتحاق بالكليات راسا . والعديد من هؤلاء الذين نالوا شهاداتهم حاولوا الاستمرار فى الدراسات العاليـة ونتيجة لذلك ظلوا عالة على غيرهم حتى اواخر العقـــد الثاني من اعمارهم . اما الصبيان والصبايا الذين اشتغلوا بعد (المرحلة الثانوية) فقد عدوا من الفاشلين او الكسالى . ومع اني ارى ان يتعلم الانسان طوال حياته وان يجـرب اصلاح شأنه ، فى كل وجه من وجوه الحياة ، فانني لم ار عيبا او مثلبة او دلالة على الفقر الاخلاقي او العقلي فـي التعود على العمل مبكرا قصد الحفاظ علـى الاستقلال الذاتي ، وأعني بذلك قدرة الانسان على تجهيز نفسـه بالطعام واللباس والمأوى ، استنادا الى ما يحصله الشخص بنفسه . وهكذا فالشاب الذي يعيل نفسه وربما عائلتـه يبدو لي بطلا بعض الشيء .

اما الفكرة الثانية التي ساورتني فهذه هي : كم مـــن الشبان والشابات اصبحوا مهندسين او عمالا علميين ، وطالما ، مع الاسف ، ظلت هذه الالقاب كلمات فارغة ، باطلة الاثر ، لان الذين نالوها من طريق القصور الذاتي وليس من طريق الرغبة العارمة فى العمل فى مجال مـــن مجالات الحياة . ربما كنت شاعرا بحدة بهذه الحالة ، لانني بدات الدراسة فى كلية صناعية ، ولم يكن ليحدوني الى ذلـك سوى نوع م ن القصور الذاتي الذي هو ابعد شيء عن داع من دواعي الحياة . وبعد ذلك دخلت الى معهد ادبـــي ومدرسة من مدارس (الدراما) حيث اسرتني حماسـة حقيقية ، وعلى ذلك اصبحت افهم الفرق بين تلك المشاعر والافكار التي جربتها حين كنت فى الكلية وبين تلك التي تمرست بها وانا ادرس الادب فى مدرسة (الدراما) . كان الفرق بين هذين الضربين من المشاعر كالفرق بين الارض والسماء . ففي المكان الذي كنت اعمل ما هو مطلوب مني، كنت احترق بدون لهب ، فى حين كنت شعلة تتأجج كلما دعيت الى محاضرة من المحاضرات (الادبية) وكانني على موعد مع فتاة من الفتيات .

ومن تقليبي لهذه الاشياء وامعان فكري فيها تمخضت فى ذهني فكرة كتابة مسرحية عنها ، فقررت ان ابعـث الحياة فى (شخوصي) ببركتي . وطبيعي ان المسألـــة (الحساسة) لاتتعلق فى كيفية الشروع فى بناء المسرحية ولا باقتناص الحافز الاولي . لان هذا الحافز يقبل الى كل مؤلف بنفسه . انما المهم كل الاهمية تفسير هذا الحافز تفسيرا صحيحا ، بتصنيف مظاهر الحياة التي تعالجهـا والتعبير عن الفكرة التي تشغلك بكل ما تستطيع من جلاء وشمول وحرارة .

وقد يبدو مخطرا تناولي للعملية الاستهلالية فى كتابـة المسرحية ، اذ ربما اتحول بذلك الى كاتب يعمل جهـده للتبسيط العقلي فيلائم بين مشاعره والوانه وبين قضية خاصة م ن اختياره . وهنا ينبغي لي ان اقول كلمات قلائل حول (التبسيط العقلي) فى عملنا، وكثيرا ما ساء استعمال هذا الاصطلاح فيعتبر عارا يلصق بالمؤلف ، ومع ذلـــك فالتعبير يشمل شعورا يتألف من ذكاء وحكمة ، وهذا مـا نراه فى تولستوي ورومان رولان . والحالة تنقلب الى الضد

اذا لم يكن للمؤلف فكرة واحدة يريد ايصالها ، او تكون لديه قبضة من آراء الاخرين . وهذا النوع من التبسط العقلي زهيد القيمة ، عقيم الفائدة ، باعث على الاشمئزاز، وكلا تولستوي ورولان كان يمكن ان يكونا خطيبين ومبشرين حسب بدلا من ان يكونا استاذي الكلمة المكتوبة ، لو لم تكن احكامهما عن الحياة مفعمة بالروح الحية واللحم والدم، وهي جزء لا يتجزأ من لحم المؤلفين ودمهما وروحهما

واكبر الظن ان المشكلة الرئيسية فى مسرحياتنا تكمن بالضبط فى حقيقة التبسط العقلي الجاف الذي لا يتحول الى لحم ودم وروح ، اي ان (الشخوص) لا تتحرك على وفق العواطف والمشاعر بل بدافع قرارات المؤلف المتعسفة، وبدافع ارادته التي لا تكون على انسجام مع الكائنات الحية التي تملك حياتها الخاصة فى الفن، مستقلة عن ارادة الكاتب.

ومهما يكن من امر ، فانني لا ارغب ابدا فى ان اعزو بعض الميزات السرية لـ (لبطل) الذي انبثق من ذاتي ومن ابداعي ، فهو يعمل على حسب ما تشاء اهواؤه ، لانه لم يعد فى نطاق مراقبتي وسلطتي . وليس لي الا ان اذكر ذلك بسبب بعض البيانات الغريبة التي قد تعثر بها في بعض المقالات .

ان علاقات شخصية المؤلف مع شخصية (البطل) علاقات معقدة ، وهي تماثل شخصية الممثل بصلتها بما يمثله من شخصية . وشخصية المؤلف هي ولا شك القوة القائدة الرئيسية ، ولكن عليه ان يتذكر بل يشعر ان شخصية (البطل) مادة سهلة الكسر ، وعليه ، فاذا ما عالجها بعنف وفضول حطمها وحولها الى غبار . فـ(البطل) الذي ابدعه المؤلف قد يثير احيانا امورا كثيرة ينبغي ان تؤخذ بنظر الاعتبار وتصنف وتوضع فى مواضعها الملائمة .

ومع ذلك فقد اسرعت قليلا فى ذكر العلاقات بين المؤلف و (البطل) ، اذ كان يجب علي اولا ان اتكلم على ولادة البطل ولا سيما لحظة الولادة، ولحظة تنشقه نسمة الحياة، هذه اللحظة التي يصعب التقاطها لانها تحدث فجأة وبصورة غير متوقعة تماما . انها حقا لحظة سعيدة بالغة السعادة ، ولكنك قبل حدوثها كنت تتجرع عذابا لا بد انه دام طويلا. قد تبدو كأنك حصلت على الموضوع والفكرة والوضعية الملائمة والعبارات السديدة ايضا ، ولكنك حين تبدأ الكتابة تشعر بـ (الشخوص) تتكلم كالدمى لا كالبشر الاحياء . وفجأة ينطق احدهم بصوت انفرادي يبعثر الوضعية التي ابدعتها باسلوب غريب ، ويقلب مجرى الحديث راسا على عقب . وهذا يعني ان الامور اخذت تسري مسراها الصحيح : وعليك ان تبادر الى العمل فعلا نابذا ما ابدعته من قبل مما حسبته اصيلا ، غير اسف لان ذلك لم يكن سوى مادة تافهة . ونضرب لذلك مثلا :

اذا كنت فى يوم ما قد فكرت بكل تفاصيل ما انوي كتابته فى اليوم الثاني ، وحتى لو سطرت على الورق الشيء الكثير ، فهذا لا يعني بانني ساكتب بطريقة معينة . بل على الضد من ذلك ، فانا اذا جلست الى المائدة ذات صباح وليس فى راسي سوى ما كان فيه قبل يوم ، تطلب الامر الانتظار قبل الشروع فى الكتابة . ذلك بان مادة الامس غدت مادة ميتة بالقياس الي ، لما فيها من سأم ، وهذا ما يجعلني انتظر شيئا جديدا كل الجدة ، شيئا تلقائيا انتظره بفارغ الصبر .. وبعدها يقبل ذلك الشيء ، فما ابهج قدومه ، وعندئذ ابدأ الكتابة !.. وربما تسألني لماذا شغلت نفسي بالتحضير امس من اجل اليوم الذي يليه ، مع العلم بانني لم استعمل ما حضرته . ان التحضير كان اعدادا وقاعدة واساسا لما يمكن الشروع فيه .

ومع ذلك فقد يحدث ان يظهر (بطل) حي فى مستهل نتاج احدنا ، وقد يعد ذلك موهبة من الالهة ، ولو انه في اغلب الاحيان نتيجة مادة متجمعة متراكمة .. وثمة شيء اخر : ان الذي لا يجرب تلك اللحظة السعيدة ، لحظة ولادة (البطل) لن يفهمها ابدا . ولكن يكفي ان تكون قد شعرت بتلك اللحظة مرة واحدة فى حياتك ، لتبقى في نتاجك نجما هاديا لك تسعى جهدك للوصول اليه . فانا – مثلا – احكم على مسرحياتي قياسا على (الابطال) الاحياء الذين ينخرطون فيها. ولاكن صريحا ان هؤلاء ليسوا من الكثرة الى الان . ان احبائي منهم هم : سفيتلانا (١) وكوستايا(٢) وفيرونيكا(٣) واندريه وانستاسيا(٤) ولابشين الاب والابن(٥) .

ومن اعمق الكتب التي قراتها عن ولادة (البطل) كتب ستانسلافسكي حيث يتناول المؤلف ولادة (البطل) المسرحي وحيث يتشابه عمل الممثل كل التشابه بعمل المؤلف. وبوجه عام ، ان خير ما يعين (الكاتب) الدرامي هو طريقة ستانسلافسكي .. ولاعد الان الى اختيار الموضوع : طبيعي انني كأي من الناس مهتم بسلسلة واسعة من الاسئلة . ولكن اعظم العباقرة لا يمكن ان يكونوا من الشمول بحيث تتسع عبقريتهم لكل شيء ، ومن الملاحظ، اغلب الاحيان، ان مجال بصيرة هذا الدرامي او ذاك محدود بمنطقة خاصة من مناطق الحياة ، ومع انني احسب مدى بصيرة بوشكين او شكسبير مدى مثاليا ، الا ان تركيز الانتباه على قطاع صغير ينتج هو بدوره نتائج ايضا .

ومما يبدو لي دائما ان كل كتاب العالم يمرون خلال الحياة وكل منهم يحمل مشعلا به يضيء هذه الزاوية من زوايا الحياة او تلك . والنتيجة الحتمية لذلك تكون صورة واسعة (لهذا العالم) . اما مدى انارة الشعلة وعمقها فيعتمدان على قوة التيار ومعاييره .

فالى اي اتجاه يجب توجيه ضوء اي مشعل من مشاعلنا؟ وهذا امر يكتشفه كل منا على حسب ميوله الشخصية . فقد يحملك امر من الامور على هذا السبيل وليس على

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) هم ابطال مسرحيات الكاتب بالتسلسل : ١ (اصدقاؤها) ٢ – (صفحة من الحياة) ٣ – (الحي الخالد) ٤ – (الحظ السعيد) ٥ – (سعيا وراء السعادة) . المترجم

سواه . ومما لا شك فيه ان ذلك يعتمد على تجربة الحياة، ولكن الشيء المهم يستند الى الجاذبية الايمائية . فعلى اي منا ان يكتب حين يشعر بالحاح دافع على الكتابة ، وهذه مسالة معروفة . ولكن قد تتغير ولا تجري هذا المجرى . ومن ذلك انني لست خجلا اذا اعترفت بانني حين امعنت فى التأمل فى كتابة مسرحيتي الثانية (صفحة من حياتي) وضعت لنفسي مهمة عملية محضة : فقلت لنفسي: انني ساكتب مسرحيةلا اعرف شيئا عن موضوعها، ومن طريق هذا الاختيار سأعرف عما اذا كنت قد اصبحت كاتبا مسرحيا (عظيما) ام لا ، وعلى الضد من ذلك ، اي لو اخفق هذا الاختبار ، تكون مسرحيتي قد اصبحت عملا فاشلا ، وهو ما يحدث فى الحياة الادبية كما نعرف .

لعلك تقول ان هناك شيئا ساذجا خاطئا طفوليا فى الطريقة التي استخدمتها حين عرضت المسالة بالقياس الى نفسي ،ولكنني حينئذ فقط فهمت ما لاهمية ارادة المؤلف من دور فى عملنا بالاضافة الى ميوله ورغباته .

وفى غضون عملي جذبني جانب معين من الحياة ،الجانب الذي اصبح قريبا الي عزيزا علي ، ولاقل جانبا «شخصيا» وحينئذ وجدت نفسي اكتب مسرحية فى موضوع محبب لي ، على حين انه كان غريبا علي فى البداية .

وفى صدد الجدل ، كثيرا ما نسأل : هل من الممكن ان نكتب فى موضوع مدروس ؟ الا يعني ذلك تدنيسا لعملنا ؟ اعتقد ان ذلك ممكن ولكن بعد ان نتناول الموضوع المدروس، الذي كان لاول وهلة غريبا لديك ، ثم تتعمق فيه وتعده اعدادا يتمشى وذوقك (صابا فيه الحياة) .

ان اعظم شيء اهتم به فى الحياة هو المشكلات الادبية والاخلاقية : وحين افكر فى المستقبل .. فالقضية التي تجتذبني اكثر من غيرها هي موقف الناس بعضهم تجاه البعض الاخر .. (ذلك بأن التاريخ) يعلمنا ان الانسان لم يتحمل الما يقاس بها تحمله من اخيه الانسان . ومن هنا ، فان علم السلوك الانساني فى المجتمع هو اهم علم لانه يتضمن العلم والاخلاق والفن فى الوقت نفسه . وحين ادرس مآثر شعبي ليس فى العمل حسب بل فى الفضائل الاخلاقية العليا وما يتمتع به من قوة روحية اجد نفسي على حق فى تحمسي وايماني بأن مثل هذا الشعب سيكون اهلا بالمستقبل السعيد ...

ولما كان المجتمع (الفاضل) لا يعنى تنظيما رفيع الشأن حسب بل تنظيما انسانيا ايضا ، فاول مطلب لهذا المجتمع لا يتحقق الا بتعلم الناس كيف يسيطرون على عواطفهم . وان المثل الاعلى الذي اشار اليه هاملت بقوله : « ان على الانسان الا يكون عبدا للعواطف » لا يزال صادقا كل الصدق . ومع ذلك ، فليس من السهل احيانا معالجة القضايا الاخلاقية والادبية ، ذلك بأن كل انسان هو عالم بحد ذاته ، وهو عالم دقيق كل الدقة ايضا كالكون نفسه ، ومن اجل التعرف عليه ينبغي قبل كل شيء التقرب اليه باعظم الحب واحسن النوايا .

وبعد ، فلي ان اقول بعض ما يتيسر من الكلمات عن الشكل فى الدراما . انني اتفق بكل قلبي مع الفكرة القائلة: ان الشكل والمضمون وحدة واحدة ، ولا ينبغي ان نفضل الشكل على المضمون بأي حال من الاحوال . ومع ذلك، لا بد لنا ان نفكر مليا فى مشكلة الشكل فى الفن وان ندرسها بجد . ومثال ذلك بالقياس الي ، انني ملزم ان اهتم ابلغ الاهتمام بكل مسرحية من مسرحياتي من البداية الى النهاية ، من النظرة الاولى الى انزال الستار ، وان الحظ بعين الدقة كيف تبدأ المسرحية وكيف تنتهي والشكل نفسه يجب ان يكون فرديا وشخصيا . وعلى كل ، فان كتابة المسرحية لا تشبه طبخ طبخة معينة بعد استدانة ادواتها من جارك، فهذه امور لا يصح فعلها ولا الركون اليها.

(ومن الجدير ذكره) ان الموضوعات المعاصرة بحاجة الى اشكال جديدة . ولا زلت اذكر كيف ان المشاهدين اثيروا بمسرحيات بوغودين الاولى او بمسرحيات فشنيفسكي انتي حركت عواطف كل انسان لا بجدة موضوعاتها حسب بل بجدة شكلها ايضا ..

ثم لي ان اقول كلمات قلائل عن فكرة المعاصرة . لقد كتبت وارغب ان استمر فى الكتابة عن الموضوعات المعاصرة فقط ، وقد يتصور بعضهم الا داعي للقلق بشأن هذه المسألة ، ولكني على الضدمن هذا التصور وهذا هو السبب. كثيرا ما تكون المسرحيات التي وضعناها عن عصرنا بشخوصها المعاصرة واضحة ، ويكون المؤلف قد وضع فى البرنامج الكلمات : الوقت الراهن ، ولكنك حين تشاهد هذه الشخوص او تطالعها (فى الكتب) تشم رائحة العث ، رائحة النفتالين . وذلك لا يحدث الا لانك قد اربكت انسجام عصرنا (وبعثرت وحدته الزمنية) . يبدو لي قبل كل شيء ان الانسجام ونبض الحياة الحديثة هما مانفتقده فى بعض مسرحياتنا . ان الانسجام هو الميزة التي تجعل المسرحية مفعمة الشعور بمصريتها وتدعونا الى البحث الدائب عن الاشكال الجديدة ، فينبغي لنا ان نلتقطها في الشارع وفى السيارة والمعمل والبيت وفى كل مكان . والى ان يفعل احدنا ذلك عليه ان يتانى فى كتابة المسرحيات عن الموضوعات العصرية ، والمسرحيات التي تفتقد الى هذه الميزة هي مجرد اطروحات فى هذه المسألة او تلك .

والنقطة الاخيرة التي اود التحدث عنها فيما يخص عملنا هي وضع الخطط والتصميمات . يقال ان الالهام شيء شديد الزوغان ، واذا كان الامر كذلك فعلينا الامساك به بكل ما عندنا من حول وقوة .. ان الكاتب هو منظم وقته ، فعليه ان يتحكم فى ارادته ، وعليه ان يعمل على وفق جدول وقتي خاص ، اذ ان هذه الوسيلة هي احسن وسيلة منتجة ، كما ان عليه ان يخصص من وقته مجالا للاستجمام التام لان كل ذلك يعينه على التصميم الصحيح.

اربيل ـ العراق

يوسف عبد المسيح ثروة

المعلم نقولا الترك

بقلم نسيم نصر

نحن في ما نهم به من تعريف مقتضب، مع رجل جاء ربيب الحقبة التي حفلت بطلائع الحركة التي ميزت لبنان بالنشاط المهد لبروزه، في العصور الحديثة، وطن رسالة ثقافية لا يتخلى عنها، وان خبا نورها ردحا من الزمن. وهذه الحقبة هي المرحلة من التاريخ الواقعة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. اما الرجل الذي نعرفه فهو نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك. وسنعتمد في معظم ما سنورده من معلومات على تحقيق للاستاذ فؤاد البستاني صدر به مجموعة النصوص والوثائق والديوان، وهي جملة ما خلف هذا المعلم المؤرخ الاديب.

وولد نقولا الترك في دير القمر سنة ١٧٦٣ من اسرة يونانية الاصل، نزحت الى لبنان من عاصمة بني عثمان، في اوائل القرن الثامن عشر. وكان نزوحها لجوءا الى حمى الامير بشير الشهابي، الملاذ الوحيد آنئذ للحرية في الامبراطورية العثمانية. وتمييزا لهذه العائلة من العائلات الوطنية المولد عرفت بصفة « التركية »، وغلب على نقولا لقب « الترك ».

وقد لازمت نقولا الترك صفة معلم من ممارسته تعليم مبادىء القراءة والخط بعض ابناء الاسر الارستوقراطية.

واتصل بالشهابي الكبير فمدحه ومضى يخدمه في شؤون عامة واخرى خاصة، وعرف بشاعر الامير. ولم ينقطع عن معية اميره الا فترة قصيرة، يرجح انه كان خلالها في حمى الشيخ بشير جنبلاط، ريثما يزول اثر الصدمة التي تعرض لها بعد مقتل ابيه مع جرجس باز بأمر من صاحب قصر بيت الدين اذ شاء ان يقضي على حركة ابناء الامير يوسف

وكان نقولا الترك قد زار مصر واقام فيها مدة كانت كافية لتعرفه احوالها ووقوفه على مبلغ قواها الحربية ومواردها الاقتصادية. وقد ساعدته على ذلك صداقات وثقها ببعض المقيمين في وادي النيل من ابناء بلاد الشام. وقد افاد الامير بشير من اطلاع شاعره على احوال القطر المصري، فعهد اليه ان يراقب الاحتلال الفرنسوي، الذي جاء في اعقاب حملة بونابرت على مصر، اذ كان الامير يخشى ان يمتد الغزو الى فلسطين ومنها الى لبنان. ويبدو ان امانة الترك لسيده الامير قد كلفته جهدا كبيرا وعرضته لمخاطر كثيرة. وقيل انها كبدته خسارة احد انسبائه، وربما كان اخاه، اذ كان على ناقل المعلومات العسكرية السرية التي حمله الترك اياها ان يمر في منطقة حكم الجزار. وصاحب هذا القول الكسندر كردن الذي كان مقيما آنئذ في عكا.

وهكذا يرجح، في رأينا القول بأن نقولا الترك كان مؤرخ تلك الفترة اكثر منه شاعرها، اذ يعتبر مرجعا لكثير من الناظرين في شؤون تلك المرحلة من تاريخ الحملة الفرنسوية على مصر. وقد ورد في تحقيق البستاني الذي استندنا اليه ان المستشرق ديفرانج قد عنى بنشر قسم من معلومات الترك التاريخية في باريس، ويقال ايضا ان الامير حيدر شهاب في تاريخه الكبير « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان » قد اعتمد الترك مرجعا في بعض ما يتعلق بالمعلومات الخارجية، لتلك الفترة الحافلة بالاحداث.

ولم يفت شاعرنا ان يجعل من شعره ايضا سجلا لعديد من الاحداث الخاصة الى جانب الحوادث العامة والمدائح الهامة وغير الهامة.

وفي سنة ١٨٠٤ عاد المعلم نقولا الترك الى دير القمر ليزاول من جديد مهمة التدريس. وان كان « قد عاود التدريس بفضل مكايد ابليس »، على حد قوله في هذه السجعة، فانه ما « خرج من القاهرة بثروة وافرة » على حد زعمه ايضا، والا فلما كتب مقامته المعروفة بـ« الديرية » وقدمها الى مولاه الامير بشير، تلك المقامة التي لولا براعة الاستجداء فيها وتحقيق الحلم الذي اشتملت عليه لما كانت له الدار الوسيعة التي ما تزال بعض جوانبها اثرا من اثار الهندسة المعمارية اللبنانية في القرن التاسع عشر.

واختلف في تعيين سنة وفاة نقولا الترك، الا انها بوجه الترجيح كانت سنة ١٨٢٨ على ما يؤكده الاب لويس شيخو. وما يزال مدفن مترجمنا الاديب المؤرخ في ساحة كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك في دير القمر، وعلى احدى بلاطاته ابيات من شعره اوصى ان تنقش على قبره.

وديوان الشاعر الترك حافل باوصاف حياته الخاصة والحياة العامة في زمانه. فمنه نعرف ان شاعر الامير لم يكن له مرتب خاص وانما كان رزقه يأتيه، في قليله وكثيره، عن طريق الشعر الذي تجود به قريحته وفقا للظرف وقضاء للحاجة. ولا يجوز ان تفوتنا الاشارة الى ان الامير الشهابي الكبير له النصيب الاكبر من ديوان شاعره، فلم يترك شاردة ولا واردة من حياة الامير وعنها دون ان يسجلها شعرا. وللشيخ بشير جنبلاط النصيب الثاني من هذا الديوان، كما لقصر المختارة الحصة الثانية بعد حصة قصر بيت الدين. واما بقية الديوان فمتوزعة على الكثير مما لا مجال الى عده وحسابه. فشعر الترك سجل خاص عام: فيه من مثل ارجوزته في وباء الطاعون ذات القيمتين الصحية واللغوية، الى مثل ولادة حمارته، وموت برذونته، واطلاق لحيته ...!!

وقد امتد حب النظم عند الترك الى مزامير داود فحول بعضها الى شعر. ولكن هذا المنظوم البالغ عدد صفحاته

الاربع مئة من القياس الكبير من الورق والذي حسب كله شعرا بمقياس الشعر فى تلك المرحلة من عمر الادب العربي، لا يرقى ، فى الكثير من ابياته الى مستوى يضمن له بقاءه لولا ما فيه من تاريخ لانجده فى مكان اخر ان اهملنا من هذه المجموعة ما لا يطيب لنا ان ندخره شعرا .

وقبل ان نقدم بعض المنتقيات من شعر الترك يجب ان نذكر انه شغل بالسجع فعرج به على فن المقامة ، فكتب فيه احدى عشرة مقامة نستطيع ان نسميها تبسيطا لهذا الفن ، اذ جاءت هذه المقامات سهلة العبارة واضحة الاشارة تنزل فى بعض سطورها الى الركاكة ، فى حين تميز اصحاب المقامات ، هو مشهور عنهم ، بصفة القدرة على اللغة : فى صلابة معادنها وغرائب معاجمها وشوارد امثالها واسمائها. والترك تعوزه ، بصورة عامة ، شدةالاسر فى انشائه ، وبصورة خاصة لا يسلم بيانه من سقطات القواعد واللغة احيانا .

واول ما يبدو لنا ان نقدمه فى هذا التعريف من المقاطع التي اخترناها من متفرق شعر الترك هي ابيات فيها من حلاوة النفس ولين الطبع ، وفيها تواضع الاعتذار عن الخطأ . قال :

يا اهل الكمال رفقا بشخص   لالتماس السماح قد جاء يسعى
عز من قال : اغفروا بخلوص   للقريب المسيء سبعا فسبعا
والذي قد اقر بالذنب جهرا   يستحق السماح عدلا وشرعا
فهبوني اسأت فالعفو اولى   بالذي قد غدا به العفو طبعا

ثم نقدم غزلا لطيفا يصلح نموذجا للاسلوب التقليدي فى وصف محاسن المراة . وهو غزل صدر به مدحا في عني بك الاسعد . قال :

كم من عسال ان خطرت   يخجله ذياك القد
قسما بمحيا طلعته   كم تذرى بدرا اذ تبدو
وجبين خط الحسن به   نونا فيها حسن المد
وبماضي لحظ فتاك   مهج العشاق له غمد
وشقيق فتح فى خد   من حمرته غار الورد
نعمان الحسن به ملك   ريحان الخال له عبد
وبثغر عذب حاز على   شهد ما ماثله شهد
وبجيد نجم الصبح له   طوق والبدر له عقد
وبصدر فياح لآلي   فى صحن لجينيه النهد
وبخصر ممشوق يحكي   عن رقته ذاك البند
ما باهى الفخر ولا استعلى   فى الدهر ولا اعتز المجد
الا بعلى الهمة من   فى مدحته طاب النشد

وله من مدح فى الامير بشير ، وقد انشأ قناة اجرى فيها ماء نهر الصفا ، المعروف بنبع القاع ، الى قصر بيت الدين . قال :

فخر الموالي الذي دامت مآثره   وعطر الكون زاكي طيب شذواها
انشى قناء روى منشاه عن همم   علية عن ملوك قد رويناها
قد الصخور وهد الشامخات له   ومهد الارض اعلاها واوطاها
وفيه اجرى من الامواه اغزرها   نبعا واعذبها طعما واحلاها
فبادرت من اقاصي الارض ساعية   الى حماها تغالي فى هداياها
واسقت العشب والاوعار عذبصفا   زلالها فارتوت من شهد مسقاها
واخضل كل كثيب ذاق مشربها   والبست كل غيض ثوب نعماها
والقفر اضحى فراديسا منورة   تحي النفوس بباهي حسن رؤياها

سر

البحر الفاضب لم ينم ..
الشاطىء من ياس يبكي عنف الموجه
فى البحر كنوز من حلم
فى القاع لئالىء .. تغفو فى القاع البهجه !
فى البحر طيوف من امل تغفو حيرى
تحلم فى دنيا اخرى
فى عين ترقب .. تتلظى خلف الموج
فى حبل يخرق فى عنف عمق اللج
ينقض باحلام حرى
ويذيب تلال الثلج عن الدنيا الاخرى .
يا عين الله تشع على ليلي الداجي
فى البحر تمطت لي افعى
انياب مزقت الشبكه
ولسان ينصب لي شركه
والحوت على حلمي اقعى
ليحطم فى البحر زجاجي
ويشد بقلبي فى عنف نحو القاع
يغرقني .. يجتاح شعاعي ..
يحرمني حتى من املي !
يا عين الله تطل على دربي القلق
وتلون حلمي بالشفق :
ان ظل الحبل يضيق .. يضيق على عنقي
يجذبه حوت .. يجذبني
ويشد بنا نحو الفرق
اتدب حياة فى قمري
ايشع الجوهر بالالق ؟!

طولكرم   وليد محمد ابو بكر

ومعجلات الفلا اضحت مباسمها   مفترة عن سنا زاهي سناياها
واقبلت بالربيع الغض مخصبة   بكل مزهرة قد طاب مجناها

ولما كان الترك معرفا شاعرا فى هذه اللمحة ، كان لا بد لنا من الاشارة الى اكثاره من التاريخ الحسابي الابجدي فى مناسبات كبيرة واخرى صغيرة. وهذان بيتان منقوشان على لوحة رخامية فوق السبيل الذي انشأه الامير بشير سنة ١٨٢٤ :

انشى البشير الى البرايا موردا   سلساله من جنة يتحدر
رضوان ارخه وجاء مناديا   الكاس يطفح والمناهل كوثر

نكتفي بهذا القدر من التعريف بشعر الترك ، مذكرين بأن شاعر الامير ، كان ، على خفة شعره فى موازين النهضة الحديثة ، ذلك الصوت الامين الداوي فى جوانب لبنان ، فى العهد الشهابي الكبير ، كبيرا فى ما سد من حاجة ادبية تاريخية لاءمت عصرها خير ملاءمة .

نسيم نصر

اقوى من العذاب

تمثيلية

بقلم ناجية ثامر

المشهد الاول

الام : ماذا تصنعين يا بنيتي ؟ منذ اكثر من نصف ساعة اراك مشغولة بهذه الصورة ، تختارين لها مكانا ثم تبدلينه ، وكأنك لم تجدي لها مكانا لائقا في جميع اركان المنزل ..

جميلة : في الحقيقة يا اماه لم اجد لها مكانا لائقا .. أريدها ان تكون في مكان قريب مني لتكون تحت انظاري .

الام : ضعيها في الصالة .. في الواجهة

جيلة : الصالة لا ندخلها دائما . فهي مجعولة لبعض الضيوف ..

الام : في غرفة الجلوس ، حيث نمضي غالب وقتنا ، وحيث نستقبل اصدقاءنا واقاربنا .

جيلة : ننظفها صباحا ، ولا ندخلها الا بعد الانتهاء من جميع الاعمال . للخياطة او للجلوس مع الزوار .

الام : والله لقد حيرتني معك يا ابنتي

جيلة : ما قولك لو اعلقها في المطبخ ؟

الام : في المطبخ ؟ اليس في هذا مهانة واحتقار ؟

جيلة : (حالمة) لا اظن .. اننا حين نحب انسانا نضعه في اقرب مكان لدينا ، ليكون دائما تحت انظارنا .. نقوم صباحا ، نظف المنزل ، ثم نمكث في المطبخ للغسيل والكي والطهي .. وحين انتهي من عملي غالبا ما اجلس على المقعد وانتحي هذا الركن من المطبخ ، لاخيط او لاطالع ..

الام : ولكن الناس لم يألفوا تعليق صور الاقرباء والاصدقاء الا في اليق مكان ، في الصالة ، او في غرفة الجلوس اما المطبخ فهذا مكان لا يليق ابدا ..

جيلة : اننا دائما نتعلق بالمظاهر ، هذه المظاهر التي قلما تفيد وتنفع . اليس هذا المطبخ الصغير النظيف هو الذي نمضي فيه غالب وقتنا ، وبين جدرانه نهيء معاشنا وقوت يومنا ؟ اليس هو المعمل الذي نستورد منه نظافتنا وقوتنا وكياننا ؟ ما الفرق بينه وبين بقية الغرف الا ان الغرف الاخرى جامدة لا حركة فيها ولا نشاط . بينما هو يزخر بالعمل المستمر والحيوية .. اننا نخشى على الستائر والتحف من ان تتلوث ببخار الاطعمة ودخان النار فنضعها في الاماكن الاخرى ، ولا نضع فيه الا الادوات اللازمة التي تتحرك كل يوم تحت اناملنا ، الغرف الاخرى تحوي الاشياء الجميلة الجامدة ، والمطبخ ذو الجدران العارية يحوي الاوعية المتنقلة المتحركة ، التي يوحي مرآها وحده بالعمل والنشاط

الام : والله يا ابنتي لا أدري ما اقول لك ، افعلي ما بدا لك .

جيلة : سأعلق هذه الصورة الحبيبة هنا ، لتكون على مقربة مني ، وسأسعى ليكون مطبخي ابهج مكان في المنزل .. اذا كانت المقاعد والستائر تجمل الغرف الاخرى ، فستزين المطبخ هذه الصورة .. وانها لاغلى من كل تحفة ..

الام : هيا يا جميلة ، علقي الصورة اني تريدين وتعالي لاعمالك التي تنتظرك

جيلة : لا تخشي ، لن تتأخر اعمالي عن موعدها ، هذه الصورة ستشاهد نشاطي اليوم وتباركه ..

الام : ولكن هذه الصورة ليست لاختك ؟

جيلة : انها لجميلة بوحيرد ، وهي عزيزة علي كأختي .

الام : جميلة بو حيرود ؟ لا يا ابنتي ، لا تعلقيها هنا .. ان في ذلك مهانة لهـا ...

جيلة : لا يا اماه ، بل ان في ذلك اجلالا لها وتقديرا للمجهود والعمل . العظماء ، واعني بعظماء النفوس ، لا يغترون بالمظاهر ، ولا يحبون الافرشة والستائر ، بقدر ما يحبون الطبيعة العادية الخالية من كل زيف وتصنع .. مجهودنا اليومي نبذله هنا . فالمطبخ بالمثابة لنا كالحقل للفلاح وميدان القتال للمحارب ..

وما يمنعنا ان نزين مطبخنا ونجمله ونزخرف اركانه لنجعله ابهج مكان عندنا ؟

الام : (متنهدة) جميلة بو حيرد .. انها في السجن يا ابنتي .. ويا ليتها كانت هنا معنا .. عوض صورتها ..

جيلة : لقد عملت جميلة وجاهدت . ولذلك يجب ان اعلق صورتها في المكان الذي نعمل فيه ، لا في المكان الذي نستلقي فيه ونرتاح على الوسائد والمقاعد .. اريدها ان تكون دائما بقربي . وكأن عينيها مشدودتان لعيني بسلك سحري

الام : (تتنهد) افعلي ما يحلو لك يا بنية .. مسكينة ..

جيلة : لا ايا اماه ، لا تقولي هذه الكلمة ، فكلمة مسكين تطلق على العاجز والضعيف ، اما جميلة فهي شجاعة وقوية .

الام : هيا يا ابنتي . هيا ..

جيلة : حالا ، حالا يا امي .. هنا سأعلق الصورة ..

فاصل

جيلة : بالشفاء والهناء يا ابي .

الاب : الله يشفيك يا ابنتي من كل داء .. (يسعل)

جميلة : هل بدات تحس بتحسن صحتك ، منذ تناولك الدواء ؟

الاب : احسن بقليل ..

جيلة : ولكن الطبيب منعك من شرب القهوة ، ورغم هذا لا تستطيع صبرا عنها .

الاب : والله يا ابنتي لا استطيع صبرا عن احتساء قهوتي في الصباح ..

جميلة : ولكنها تضرك ..

الاب : اوف .. لا يضرني شيء بقدر ما يضرني مرور الاعوام والسنين. لقد اصبحت هرما يا ابنتي ،وبلغت السبعين من عمري ، وليس للادوية فعل الا التهدئة فقط .. صدقيني ، انها لن تؤخر ولن تسبق يوما واحدا فى عمري .. هل تظنين بأنني اذا امتنعت عن شرب القهوة فان ذلك سيطيل حياتي .. ابدا ، ابدا ..

جميلة : ليمد الله فى عمرك يا ابي .. هل انت مرتاح فى جلستك هذه ؟

الاب : اجل ان الجلسة فى هذه الشرفة تريحني ، رغم انها متصلة بالمطبخ .. لقد امرت ببنائها من اجلك حسب طلبك.. ولم اندم . فهذا المكان اصبح المكان المفضل لكل العائلة .. والمطبخ قد تبدل تماما، واضحى اجمل ركن فى المنزل .. انك تشترين الازهار لتضعيها خصيصا فيه .

جميلة : (حالمة) لا اضعها فى المطبخ من اجل المطبخ ، بل تمجيدا للعمل ، وتقديرا للمجاهدين في الحياة .

الام : (من الخارج)رشيد يطلب رؤيتك

الاب : مرحبا به .. (يدخل رشيد)

رشيد : صباح الخير يا عمي . صباح الخير يا جميلة ..

الاب : اسعد الله صباحك .

جميلة : اسعد الله صباحك . كيف حال اختي ؟ .

رشيد : بخير والحمد لله .

جميلة : تفضل ، اجلس هنا ..

رشيد : شكرا ..

جميلة : ساحضر لك فنجان قهوة .. (تخرج)

الاب : كيف الاحوال يا بني ؟

رشيد : كالعادة .. جهاد مستمر ، وتضحيات متواصلة اليوم بدات بجمع الاعانات الشهرية ..

الاب : (يخرج محفظته ويدفع له اوراقا مالية) خذ يا ولدي.. هل الاكف منبسطة ؟

رشيد : لا بأس .. ولكننا لا نستطيع ان نطرق باب كل فرد من الافراد خشية من الخونة .

الاب : على مراد الله.. اناس يفتدون اوطانهم بالمهج والارواح .. واخرون يقفون مع العدو صفا واحدا ضد اخوانهم .. هؤلاء الاخوان وبنو الاوطان الذين يجب ان نعاونهم ولو لم يكونوا ذوو حق، فكيف بهم وهم يدافعون عن الحق ضد الظلم ، وعن العدالة ضد الاضطهاد وعن الحرية ضد الاستعباد ، ويضحون بالغالي والرخيص لافتكاك سيادة اوطانهم وعزة اقوامهم من ايدي المستعمرين

رشيد : اي نعم .. قد يعاون الاخ اخاه ولو على غير حق . تعصبا منه وتحمسا ، فكيف به وهو يرى اخاه فى ضيق شديد وعسر اكيد ، يخابط الامواج وتخابطه ليفتك من افواهها الفاشمة حريته ومجده ؟

الاب : الا قبح الله الخائنين الذين يتعاونون مع العدو ضد قومهم ووطنهم ، لا لشيء الا لطمعهم فى مال يزول ومتاع يحول ، بدلا من ان يكونوا مع اخوانهم يدا واحدة ضد المستعمرين ، ان لم يكن جهرة فخفية . وان لم يكن في الظاهر ففي الباطن .

جميلة : هاك القهوة يا سي رشيد ..

رشيد : شكرا،ما اجمل هذه الشرفة، وما ابهج هذا المطبخ الذي تملأ الازهار نواحيه ..

الاب : هذا عمل جميلة .. بنيت لها هذه الشرفة حسب طلبها ووسعت لها فى المطبخ ، واصبح همها كله ان تجعل منه حديقة للازهار ، لا مكانا للطهي والغسيل والكي .. ماذا تريد ان افعل ؟ انها فتاتي المدللة ..

رشيد : والله ان هذا المكان ليسر القلب والنظر ..

الاب : اتعلم ماذا علقت فى صدر المطبخ؟ صورة جميلة بو حيرد ، وفى كل يوم تصنع لهذه الصورة اكليلا من الزهر ..

رشيد : اذن لقد بدلت هذا المكان كل هذا التبديل من اجل الصورة؟

جميلة : اجل .. لانني اريدها ان تكون قريبة مني .. ولكي يكون المكان لائقا بها .. انني هنا طيلة النهار، اغسل واكوي واطهي الطعام ، وفى المساء اخيط ، او اطالع ، ولا امضي الا وقتا قليلا فى المنزل لترتيب الغرف ..

رشيد : ان الصورة لاسعد حالا من صاحبتها، لانها تعيش بين جدران السجون المظلمة .. (يتنهد)

جميلة : ان الذين يكافحون ويجاهدون لا يأبهون ان يكون مصيرهم ظلام السجون بقدر ما يهمهم ان تنجح القضية التي يعملون من اجلها..

الاب : اجل يا جميلة ، كل ما يهمنا الان ان تنجح قضيتنا وان لاتذهب تضحياتنا هباء .

رشيد : ولا القتل ، ولا السجن ولا العذاب يستطيع ان يطفيء نيران الثورة المشتعلة فى افئدتنا ..لقد قاسينا ضغط الاستعمار عشرات السنين ، فنحن فى بلادنا ،وليست هذه البلاد لنا لانها محكومة من سوانا ، وهذه الارض ارضنا ، ولكن خيراتها تذهب لايدي غيرنا.. نحن غرباء فى وطننا، نحصد ونفلح ونطهي ، لتأكل الطعام الذي نهيئه بتعبنا وعرقنا افواه غير افواهنا.. لقد ثقل الضغط كثيرا ، وانفجر الان ، ولم يعد اي شيء يوقف قوة هذا الانفجار ونحن الان لسنا بحاجة للايدي التي تعمل فقط ، بل للفكر الذي ينتج ، والكف التي تنبسط ..

الاب : وكذلك للقلوب التي تبتهل الى الله من اجل انتصارنا ، فهناك كثيرون يفرحون لانتصارنا ويبتئسون لانهزامنا .

رشيد : ان المستعمرين مستولون على جميع مرافق حياتنا، وهم يسوقون

اخواننا وابناءنا سوقا لمحاربتنا والقضاء على ثورتنا .. ويدفعون الاخ لمحاربة اخيه ..

الاب : لست الوم الذين يخدمون المستعمرين تحت عامل الضغط والارهاق حين تكون قلوبهم معنا ولكنني الوم الخونة المحتقرين ، الذين يبيعون قلوبهم وضمائرهم للمستعمرين من اجل المال .

جميلة : لا بد ان ينال كل فرد جزاءه يا ابي ، فى الدنيا او الاخرة ..

الاب : (يتلو) اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان مالها ، يومئذ تحدث اخبارها ، بأن ربك اوحى لها ، يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

(صوت رصاص يلعلع فجاة في الفضاء .. صياح وركض ..)

رشيد : الاشرار ، انهم يهاجمون احد الثوار ..

جميلة : يا الله ، لقد امسكوه . انهم يجرونه على الارض جرا . دعني يا ابي اساعدك على الدخول لغرفتك ، ان هذا المشهد المريع يؤثر على صحتك .

الاب : وهل هذا اول مشهد نراه يا ابنتي ؟ هذه مشاهد اصبحت جزءا من حياتنا لا يتجزأ منذ اندلاع الثورة .. ادخلي انت ، لانك لا تزالين شابة ، وقد تصيبك احدى الرصاصات .

الام : (آتية) ماذ اجرى ؟

رشيد : ما يجري كل يوم .. مجاهدون يقعون بين ايدي الاعداء .. يجلدونهم ويعذبونهم بدون شفقة ولا رحمة . ظالمون ومظلومون ، مستعبدون ومستعبدون .. مستعمرون اعمى الطمع اعينهم واضل قلوبهم ، فاصبحوا يعاملون البشر ، كما يعامل السوام ..

الام : الويل لهم .. لا بد ان يأتيهم اليوم الذي يحيق فيه غضب الله بهم .

جميلة : ولذلك يجب ان تبقى نيران الثورة مندلعة حتى تبتلعهم ..

الام : ان شاء الله يا ابنتي ، ان شاء الله

الاب : عين الله لا تنام .. ولا بد ان تدين الظلام اتخشين علي يا ابنتي من هذه المشاهد المؤلمة ان الالم الذي فى القلب اشد وانكى ، مما تراه العين ويقع تحت البصر

رشيد : ان الامنا تمتد لعشرات السنين ، منذ اليوم الذي وطأت فيه ارضنا اقدام المستعمرين

(صوت رصاص .. وصياح)

الام : يا رب استرنا واحفظنا .. يا لطيف .. يا لطيف ..

فاصل

(يتعالى صوت وردة وهي تغني :كلنا جميلة كلنا فداها ..)

جميلة : (بعد ان تستمع للاغنية) لكم انا معجبة بجميلة يا ابي ..

الاب : انها تستحق كل اعجاب .. انها بطلة ..

جميلة : (بعد توقف) انا كذلك ادعى .. جميلة ..

الاب : انك جديرة بهذا الاسم كل الجدارة ، لانك فتاة مخلصة بارة

جميلة: الاسم يبقى جامدا بدون روح اذا لم يقترن بمعنى يجعل الحياة تدب فيه كما تنتعش الزهرة الذابلة تحت ندى الصباح .. (تتنهد) ليتني كنت مثلها ..

الاب : اسمك ينطبق عليك ، فلك من جمال الخلق ما يجعلك اهلا له .

جميلة: انني احس بثورة تضطرم في صدري كلما سمعت عن اغتيال احد المجاهدين واشعر بالدنيا تضيق فى عيني كلما فكرت بهذا الظلم المحيق بنا .. اننا نعيش على هذه الارض وكأنها ليست لنا ، بل حدا الطغيان بالمستعمرين لنسبتنا الى بلاد اخرى لا نمت اليها بأية صلة لا باللغة ولا باللون ولا بالدين .. آه يا ابي .. احس بقلبي يكاد ينشق فى صدري ..

الاب : ليلطف الله بك يا ابنتي .. هذه مشاعر نبيلة تشكرين عليها ..

جميلة : المشاعر الجميلة كالزهرة الصناعية التي لا تحوي اي اريج واية رائحة عطرية .

الاب : لا تستهيني بالمشاعر النبيلة ، فمنها يفوح العطر الزكي الذي يبعث بنا الى القيام بالاعمال الجليلة ، كل عمل كبير يبدا بالاحساس والشعور يا جميلة..

جميلة : اذن يا ابي ، ففي امكاني ان اقوم بعمل ما، لا اقول بعمل كبير، ولكن باي عمل . .

الاب : حين تقومين بواجبك في المجتمع وتطيعين ابويك وتحبين وطنك ، تكونين قد قمت بعمل كبير ..

جميلة : او يا ابي ان لا يقتصر عملي داخل جدران هذا المنزل بعد انتهائي من دروسي ..اود ان اقوم بعمل اكبر لاشبع عاطفة الحب المضطرمة نحو الوطن .

الاب : ماذا تعنين يا بنية ؟

جميلة : اعني ، اعني ، بأني اريد ان اخدم مع المجاهدين .

الاب : تخدمين مع المجاهدين ؟

جميلة : اني لقادرة على ذلك .

الاب : اهذا صحيح ؟

جميلة : اود ان اكون فدى جميلة ..

الاب : (بلهفة) لا ، لن تكوني فدى لجميلة ، بل ستكونين فدى لهذا الوطن الذي تحبينه .

جميلة : ابي ، اود لو كان لي عشرون قلبا مكان هذا القلب ، لاستطيع التعبير عما اكنه لوطني العربي الكبير من حب وتقديس وتقدير.. وطني المعذب ، بودي ان اقاسمه عذابه واوصابه واعين المجاهدين ولو بتقديم شربة ماء ، او بتضميد جرح .

الاب : رعاك الله يا جميلة ..(بصوت مرتجف) ولكن هل سيكون في امكانك تحمل مثل هذا العبء ؟ جسمك النحيل ، هل سيطاوق مثل هذا الحمل الثقيل ..

جميلة : وهل توافقني على القيام بهذا

العمل الجليل .

الاب : وهل هذا سؤال يلقى علي يا بنيتي ؟.. احمد الله على انــــه رزقني فتاة مثلك هي عندي خير من عشر فتيات ..

جميلة : شكرا يا ابي ، شكرا لك .. دعني اقبل يديك (تقبل يده)

الام : (آتية) ما بال حديثكما قــد طال ؟ الا تفكرين بامك التي كونها نار المطبخ والمواقد .

الاب : اسمعي يا خديجة ..

الام : لعله نبأ جديد يفرج قلوبنـــا المكلومة بعض الشيء ؟

الاب : هناك خبر جديد ستدهشين له كل الدهشة ؟

الام : اسرع ، لان الطعام سيحترق على النار .. بل اذهبي بالله يا جميلة للمطبخ ، ودعيني استمع لمــا سيقصه علي ابوك .

جميلة : حاضر يا اماه .. (تذهب)

الام : ارى السرور يطفح على وجــه جميلة ، لا شك ان الخبر مفرح .

الاب : هذا يتوقف على الشعور الذي ستتقبلين بها هذا النبأ .. انــه يتعلق بجميلة .

الام : لا شك انه قد تقدم لطلب يدها خاطب جديد .. وهذا الخــاطب ذو مركز وجيه ، اليس كذلك ؟

الاب : لا ، انك لم تخمني جيدا ، ولم تتقدمي ولو شبرا واحدا من الخبر اليقيـــن .

الام : لا شك انك رضيت ان تتسلم جميلة احدى الوظائف الحكومية بعد التعنت الشديد . في وسعها ان تطلب وظيفة معلمة في مدرسة البنات ، جميلة تتوق لذلك ويصعب عليها ان تمكث في الدار لتمضــي اوقاتها في الطهي . وتنظيـــف المنزل .. في امكانها ان تتوظــف الان ، وبعد زواجها تكيف حياتها حسب رغبة زوجها ..

الاب : لقد قتربت شيئا ما من حقيقة الخبر .. جميلة لن تبقى بعد الان قعيدة الدار ، ستخرج وتضطلع باحد الاعمال ، ولكــن لا في ادارة حكومية ولا في مدرسة للاناث .

الام : لقد لنت اخيرا بعد ان تحققت من اخلاق جميلـة الرصينة .. الفتاة العاقلة المهذبة كشجر الدوح لاتستطيع ان تقتلعه الرياح مهما قويت .. اين ستعمل جميلة ؟

الاب : ستخدم للـه ، وللوطن ، ستعمل طوعا واختيارا لانــي لا اريدها ان تتقاضى ولو فرنكا واحدا ستعمل حبا في العمل وفي سبيل الله ، ولهذا لنت مؤخرا ..

الام : اين ستعمل ؟

الاب : ستشترك في الجهاد الاكبر ، وتقوم بوظيفتها مــع المجاهــدات والمجاهدين ..

الام : (بصوت مرتعش) ما هــــذا الكلام ؟ انت ترضى ان تخــرج ابنتك من الدار لتعمل مـــع المجاهدين وهي التي ابيت عليها العمل والوظيفة ، بعد نيلهـــا شهادتها المدرسية ، ومنعتها حتى من مخالطة الجيران ؟

الاب : جميلة نفسها طلبت مني ذلك

الام : وقبلت طلبها ؟

الاب : اجل، لانها جديرة بهذا الاكرام .. لقد درست اخلاقها عن كثب، انها شجاعة وفيها ميل للمخاطرة والاقدام ..

الام : رضيت ان تخرج ابنتك مــن المنزل لتعمل جنبا الى جنب مع الرجــال ؟

الاب : في ميدان الجهاد يصبح كلهم اخوانا واخوات. يذوبون في بوتقة واحدة ولا يعلــق في افكارهم الا الهجوم والدفاع عن الاوطان .. لي ثقة كبرى بجميلة ، انها ابية النفس ، شجاعة ، ويحق لنا ان نفخر بهـا ..

الام : ولكنها ستتعرض للاخطار ، افلا تسمع بما يجري كل يوم مـــن حوادث ، وبما يستعملونه مـــن وسائل التعذيب مع الذين يلقون القبض عليهم ؟

الاب : انه الجهاد الاكبر في سبيـــل الوطن ياخديجة، حمدا لله على اني استطيع ان اكافح بواسطة ابنتي، بعد ان تقدم بي العمر .. (يضرب الجــرس) .

الام : ستفتح جميلة الباب .. لقد هد قولك هذا قواي .. اخشى على جميلة مــــن جور المستعمرين وقسوتهم العمياء .

الاب : هذا الوطن لن نستطيع انقاذه الا بواسطة كفاحنا والامنا ودموعنا ودمائنـــا .

الام : (ترتمي على المقعد) لم يعــد بامكاني القيام بأي عمل كـــان (يدخل رشيد)

رشيد : صباح الخير ..

الام . الاب : صباح الخير .

الاب : تفضل اجلس ..

رشيد : مالك ؟ هل انــت مريضة ؟ حين فتحت جميلة لي البـــاب قالت لي بانكما بخير .

الاب : اننا بخير والحمد لله . ان ما بها بعض الاضطراب فقط ، بعد ان اخبرتها برغبة جميلة في المشاركة مع المجاهدين واعلنت لها عـــن رضائي بتحقيق هذه الرغبـــة النبيلة .. ما قولك يا رشيد ؟ اتكل عليك بتدريبها لهذه المهمة ، والسهر عليها وصيانتها ..

رشيد : هل هذا حق ؟ في وســع جميلة ان تعاوننا ، لانها ذكيـــة ومثقفة ..

الاب : وشجاعــة ..

رشيد : اجــل .

الاب : ارايت يا خديجة ؟

الام : انني لا اقل عنك اخلاصا للوطن، ولا امانع في مشاركة جميلة اخوانها المجاهدين ، ولكنني اخشى عليها من قسوة المستعمرين ..

رشيد : كلنا معرضون للخطر يا ام ، حتى الذين لا يقومون بأي عمل ، ولا يقدمون اية مساعدة للثـوار اقل تهمة بسيطة تكفي لتعرض صاحبها للمذلة والهوان .. سأقدم جميلة للرئيس وللاخوان وسأسهر عليها عن كثب ..

الاب : هي بنفسها طلبت مني ذلك ،

فهل يحق لي ان اقطع يدا تجود بما عندها فى سبيل الاوطان ؟
الام : اعرف هذا ..
رشيد : لماذا تبتئسين اذن ؟
الام : اخاف عليها من شدة الاشرار .
رشيد : الله سيكون معنا ومعها .. اذا تفتحت عيون الشر فى الظلام، فان عين الله لا تنام ..
الام : (تتنهد) الله ينصركم يا ولدي . معزتك كمعزة جميلة عندي .
الاب : حمدا لك يا رب .. سعيت لغرس حب الفضيلة والشجاعة والتقوى وتقديس الوطن فى نفوس ابنائي وسقيت زرعي بصبر وحدب وها انذا ارى الغرس قد اينع وازهر ..
رشيد : اجل يا عم . ابنتك الثانية لا تنفك تبث في الحماسة لاستئناف جهادي ، رغم انها ذات اولاد . ولم ارها فى يوم من الايام تبدي جزعها وخوفها من الاعداء .
الاب : اتسمعين يا خديجة ؟ اشكري الله على انه ارسل لك اولادا نعتز بهم ونفخر . جميلة ستخوض بنفسها المعركة . ابنتي الثانية تدفع زوجها وتحمسه لمواصلة الكفاح ، ولا تهتم بنفسها واولادها كما تهتم بمستقبل اوطانها . ونحن هنا سنصلي وسنبتهل الى الله ليتوج هذا الكفاح المرير بالعز والنصر ..
الام : (متنهدة) ان شاء الله ..
رشيد : انت الذي اذكيت هذه النار المباركة يا عم فى صدور زوجتك واولادك .. بارك الله فيك .
الاب : آه يا ولدي . تمنيت لو رجعت الى الوراء . اربعين سنة .. انكم لسعداء بحمل مشعل الكفاح والجهاد لافتكاك حرية هذا الوطن العزيز ..
رشيد : اين جميلة ؟ ما لها لم تأت ؟
الام : جميلة مشغولة فى المطبخ ..
جميلة : (من بعيد) ها انذا آتية بالقهوة .. (تقترب)
الاب : هل حسبت حسابي ؟
جميلة : لا ، انت مريض . ولكن اليوم لا بأس بذلك احتفاء بالحدث الجديد .. انه لاسعد يوم في حياتي .
الام : (متمتمة) ليحرسك الله يا ابنتي
جميلة : ما رايك يا ام فى الخبر الذي اعلنه لك ابي ؟
الام : ليرضى الله عليك يا ابنتي .. وعلى كل المجاهدين ، وليحقق اعمالكم بالنصر المبين .
جميلة : ربي يديمك لنا يا امي .. دعيني اقبل يدك واطلب رضاك عني (تقبل يدها) .

فاصل

رشيد : هذه هي قريبتي التي حدثتك عنها .. انها اخت زوجتي .
عمر : تشرفنا .. تفضلي يا اخت اجلسي ..
جميلة : شكرا ..
عمر : ما هي الاعمال التي باستطاعتها القيام بها ؟
رشيد : ستبدأ بالتنقل بين المراكز لايصال المعلومات . فى وسعها ان تقوم ببعض اعمال التمريض لانها تمرنت مدة ثلاثة اشهر في احد المستشفيات ..
عمر : هل هي مثقفة ؟
رشيد : اجل ، عندها ثقافة عالية .
عمر : حسن جدا .. وشجاعتها ؟
رشيد : اعتقد انها شجاعة .. على اية حال ستظهر لنا التجارب مدى صمودها وتحملها .
عمر : اسمحي لي يا انسة ان اقدمك لبعض الاخوان الذين ستعملين معهم .. انهم يحملون اسماء مستعارة زيادة فى الحرص والحذر .. تفضلي من هنا . (يدخلون لغرفة ثانية) ايها الاخوان .. اقدم لكم اختا مجاهدة اتت لتنضم لصفوفكم .. الاخت جميلة بوباشا ، هذا الاخ احمد ، وهذا الطاهر ، وهذا قدور ، وهذا بشير ، والاخت آسية (يتصافح الجميع) .
عمر : افسحوا مكانا للاخت جميلة بجانبكم .. من الان فصاعدا ستقوم بواجب الكفاح معكم (يجلس الجميع على المائدة) .
رشيد : الاخت آسية ، متدربة على العمل . وستخرجان فى المدة الاولى معا للقيام بالمهمات .
عمر : ماذا فعلت يا احمد ؟
احمد : كنت على وشك انهاء التقرير .. لقد اضطررت لتأجيل المهمة الى الغد ، لان المعني بالامر قد لازم المنزل متعللا بالمرض ..
بشير : انه الخوف بدون شك .. لقد وصله الانذار .
آسية : انا التي اوصلته له .
قدور : الاخ احمد سينتظر الان ، حتى نرى النتيجة .. فقد يرتدع عن غيه ويعود الى رشده ..
احمد : نتمنى ان يتحقق ذلك .. فهل يسرنا ان نقضي على احد ابناء الوطن ، لولا انه يقف عقبة كأداء فى طريقنا ؟
بشير : لقد كثر الواشون ، وهذا من اخطرهم .. وشى باكثر من عشرة من اخواننا المجاهدين فكان نصيبهم ظلام السجون . وبذلك فقدنا بعض معاونينا المخلصين ، وهؤلاء سيحكم باعدامهم بدون شك ..
قدور : انه والله يستحق القتل ، فهل حياته الدنسة اغلى من حياة هؤلاء المجاهدين ؟
احمد : حياة اي واحد منهم تساوي الف حياة مثله انه يعيش فى القذارة ويحك انفه فى الرغام امام المستعمرين تملقا وطمعا .. لو خرج اليوم من المنزل لانهيت حياته وارتحنا منه ..
آسية : ولكن هذا لا يصح بعد ان اوصلنا له الانذار ..
عمر : اجل ، يجب ان نعطيه مهلة شهر وان نراقبه فاذا رايناه مثابرا على الخيانة ، فحينذاك سنضع حدا لحياته المدنسة .
رشيد : يا للخونة . وددت لو انقلبت صاعقة تحرقهم عن اخرهم ، ولا تذر واحدا منهم .

قدور : الشيطان دائما يعمل لفتنة الانسان ، فأين ترى الخير ، تجد الشر مقاوما ومهاجما ، اناس يفرسون واخرون يفسدون .. اناس يجاهدون ويضحون ، واخرون فى الملذات غارقون اضل ابصارهم المال ، واعماهم الشيطان

بشير : الشيطان ؟ الشيطان ؟ الناس كلهم سواء .. الفرق بين الخير والشرير ، ان الاول ذو قلب وشعور ، والاخر ، فاقد الاحساس والضمير .. كلنا ذوو عقول وادراك ، ولكن يرضى البعض منا بالرزق الحلال ليعيش ، واخرون يستهينون بجميع المعاني السامية ليجمعوا اكبر نصيب من المال ، الناس كلهم سواء .. ولا عذر لمن يخون ..

الجميع : لا عذر لمن يخون ..

رشيد : الخائنون مثواهم النار فى الدنيا والاخرة ..

احمد : انهم اشد علينا من الاعداء لاننا نثق بهم ولا نعمل خفيةعنهم، بل نطلب احيانا معاونتهم ومساندتهم اطمئنانا منا الى جانبهم . ويحدو بهم الطمع الفاشم ليبيعونا بيعا الى الاعداء كما تباع السوام ببدرة من المال .

الجميع : يا للخونة الاشرار .

قدور : (باهتمام) تهون عليهم حياة اخوانهم ، ولا تهون عليهم مبالغ المال التي يتقاضونها من الاعداء جزاء وشاياتهم ، فيا لهم من عبيد اذلاء ..

عمر : هدوءا ، هدوءا ..

احمد : يجب ان نقضي على كل من نشتم فيه رائحة الخيانة . لانه يفسد زرعنا ، ويقوض بنياننا .

بشير : هؤلاء ، لا يجب ان يعيشوا فى موطننا، لانهم يملئون جوه بالعفونة والقذارة ، ويعيقون حركتنا التحريرية ويهدموننا ..

الجميع : (بصوت عال) الموت للخونة . الموت للخونة .

عمر : هدوءا من فضلكم .. من واجبنا ان نقضي على حياة الخائنين ولو كلفنا ذلك التضحية باحد المجاهدين . انها لتضحية منا ان نجازف بحياة طاهرة فى سبيل حياة مدنسة ، وان نبيع روح ملاك للقضاء على روح ابليس، ولكننا نفعل ذلك ، لان الروح الشريرة ، لا تقف عند حد ، ولا تكتفي بفرد واحد ، بل تحاول ان تحصد الارواح حصدا ..

الجميع : هذا صحيح ..

عمر : وشفقة منا، على ارواح مجاهدينا قررنا ان نرسل انذارا لكل من يقفون ضدنا ويحطمون اعمالنا لنمنحهم فرصة للتوبة والندم ..

رشيد : القليلون يندمون ويتوبون .

عمر : ارواح المجاهدين غالية علينا . ولذلك لا نستطيع ان نستهين بها ، الا بعد انعدام جميع الوسائل

قدور : اننا لنغفر للتائبين ، اما الذين يثابرون على الخيانة ، فنحطمهم باذن الله باقدامنا ..

الجميع : ليمت الخائنون . ليمت الخائنون ..

عمر : هدوءا ايها الاخوان .. هدوءا

فاصل

عمر : اخرجوا وتفرقوا فى المنطقة كلها . حين تسمعون صوت القنبلة كونوا على اهبة لانتشال اخيكم من الخطر ..

قدور : سننتشله من الخطر باذن الله ، ولو عرضنا نفوسنا كلنا ..

عمر : لا تقولوا هكذا .. يجب ان تنتبهوا جيدا حتى لا تعرضوا نفوسكم للخطر ، من الخير ان نفقد واحدا فقط ، من ان نفقد اثنين او ثلاثة .

رشيد : سيارتي ستكون فى الانتظار .. وسيبقى محركها دائرا ..

بشير : حين اسمع صوت القنبلة ، فسأنصب السلم حالا ليتسلقه احمد بمجرد مروره امام الجدار

رشيد : وانا سأكون على مبعدة عدة امتار ، وراء الجدار .

عمر : حسنا جدا . هل قمتم بتجربة المناورة امس ؟

رشيد : اجل .. وان شاء الله ستنجح

عمر : وانت يا جميلة ، هل وعيت دورك جيدا ؟

جميلة : سأكون على بعد عدة امتار من الحادث .. وسأتظاهر بأني جرحت لجلب اهتمام المارة .

عمر : وانت يا آسية ؟

آسيا : سأتقدم بثوبي هذا كسائلة تطلب صدقة من عدونا ، ثم ابتعد عنه مسرعة ، لاتيح لاحمد فرصة القاء القنبلة ..

عمر : حسن جدا .. مهمتكم ستبدأ بعد نصف ساعة .

رشيد : لم يرتدع الخائن عن غيه ، وسيلقى اليوم جزاءه ..

عمر : ليكن الله فى عونكم .. ستجدونني فى المنزل بانتظاركم .. من حسن الحظ ان المنزل لايبعد كثيرا عن منزل الخائن .. ستجدون المائدة منصوبة . وسنتظاهر باننا نقيم حفلة صغيرة بمناسبة عيد ميلادي .

رشيد : ليكن الله فى عوننا .. من يدري ؟ فقد يقتحمون المنزل للتفتيش ، ولذلك يجب الاحتياط لكل شيء ..

فاصل

احمد : ما بالها ؟ الم تحضر لحد الان؟

عمر : لا : لقد تأخرت نصف ساعة عن الموعد ، وهذا يجعلني فى اشد اضطراب من اجلها .

احمد : لقد اتخذنا جميع الاحتياطات، ولا نظن بأنها ستقع فى الفخ ..

بشير : لا سمح الله .. انها فتاة شجاعة من الحيف ان نخسرها ..

(ينظر من النافذة)

عمر : الا تشاهدها مقبلة ؟

بشير : لا ..

عمر رشيد ينتظرها فى سيارته لينقلها لهنا . والمائدة منصوبة كالعادة ، حتى اذا دخل رجال الشرطة للتفتيش لا يشتبهون بشيء .. اننا نحتفل بعيد مولدي .. الناس يحتفلون بعيد ميلادهم

مرة فى العام . وانا احتفل به مرة فى كل شهر تقريبا ..

بشير : انه على كل حال احتفال بنجاح كل مؤامرة نقوم بها .. وحتى آسية لم تظهر ..

عمر : آسية لم تشترك هذه المرة، لان أمها مريضة .. لقد اعلمتني ذلك فى الصباح .

احمد : هل تظن ان جميلة ستستطيع تحمل العذاب لو القي القبض عليها ؟ الا تخشى ان تشي بنا ؟ ما كان لك ان تكلفها بوضع القنبلة

عمر : هذه ثالث مرة تقوم بمثل هذه المهمة ، وقد اظهرت فى كل مرة رباطة جأش نادرة .

بشير : اخشى ان تعترف باسمائنا اذا القي القبض عليها ..

عمر : (بغيظ) شأننا لا يهمني بقدر ما تهمني هي . اذا القي القبض عليها لا سمح الله ، فستلقى من العذاب والاهانة ما لا يقدر على تحمله ، اشجع الرجال .. انها والله لا تهون ..

احمد : اي والله، انها لا تهون ، وشأننا لا يهم بقدر ما يهمنا شأنها .. ما كان لك ان تكلفها بهذه المهمة ..

عمر : هي التي طلبتمني ذلك والحت بالطلب ..

بشير : (يهتف) ها هي سيارة رشيد مقبلة ..

عمر : اترى جميلة فيها ؟

بشير : لقد وقفت امام الباب . (يتقدم جميعهم من النافذة)

عمر : ها هي جميلة تنزل من السيارة .. حمدا لك يا رب وشكرا .. فى هذه الساعة تمنيت لو القي القبض علي بدلا منها خشية عليها من الاهانة والعذاب ..

احمد : انت قائدنا ، ولا غنى لنا عنك

عمر : هل الباب مفتوح ؟

بشير : اجل (يدخل رشيد وجميلة)

عمر : جميلة ؟ اهلا وسهلا .. اهلا وسهلا ..

بشير : هل تمت المهمة بخير ؟

رشيد : بخير والحمد لله .

عمر : تفضلا واجلسا .. ما لكما قد ابطأتما هكذا ؟ لم اضطرب فى حياتي ، كما اضطربت اليوم .

رشيد : لا تجزع .. الله معنا ..

عمر : هل وضعت القنبلة فى المكان المتفق عليه ؟

جميلة : اجل ، ويا لها من مهمة تستدعي اعصاب حديدية وعيون مغناطيسية لمراقبة جميع الجهات المكان مليء بالخلق .. والناس بين غدو ورواح ، وجلوس وقيام، ورجال الشرطة يراقبون القادمين والرائحين .. انكم لا تتصورون بأي حذر كان علي ان افتح المحفظة واخرج منها القنبلة ، واضعها على المقعد ، ثم اشعل الفتيلة وانهض للخروج فى الحال بين عشرات العيون المتطلعة التي تراقب الحركات والسكنات .. تلك العملية التي لا تستغرق اكثر من دقيقة خيل الي اني امضيت فى اعدادها سنة .. انه من الاسهل ان القي القنبلة فى مكان خال واهرب ، اما ان اضعها فى مكان يعج بالعباد، فهذا شيء فيه الكثير من الخطورة ..

رشيد : الحمد لله على نجاتك ونجاتنا

عمر : لكم ندمت على قبول طلبك .

جميلة : يجب من الان وصاعدا ان اقوم بمهمات خطيرة والا ما فائدة وجودي معكم ؟

بشير : ليحفظك الله يا جميلة ..

رشيد : هيا يا اخية ، تناولي شيئا .

جميلة : لست جائعة . اريد فقط فنجان قهوة .

عمر : سأعده لك بنفسي ..

جميلة : شكرا ..

الجميع : تحيا جميلة .

عمر : لا تصيحوا هكذا .

بشير : ولم لا ؟ السنا فى حفلة عيد ميلادك ؟

عمر : بل هو احتفال برجوع جميلة .

الجميع : تحيا جميلة ..

فاصل

الام : الم ترقدي بعد يا جميلة ؟

جميلة : لا يا اماه ، اني اطالع فى فراشي

الام : يجب ان تريحي نفسك يا ابنتي (صياح وضجة) ماذا هناك؟ لانظر من النافذة . ارى عددا كبيرا من رجال الشرطة يطوقون المنزل .. (يضرب الباب بعنف)

الاب : (من غرفته) ماذا هناك يا خديجه؟

الام : لست ادري .. سأرى .. (تخرج وتفتح الباب)

الضابط : (بلكنة افرنسية) اين جميلة بوباشا ؟

الام : جميلة بوباشا ؟ ليست هنا .

الضابط : ما هذا الكلام يا امراة ؟ هيا ابتعدي عن طريقنا ولا تقفي هكذا . سنفتش المنزل .

جميلة : (من الداخل) ها انذا آتية .

الضابط : لم انكرت وجودها ؟ تعسا لك

الام : ماذا تريدون منها فى هذا الليل؟

الضابط : ماذا نريد منها ؟ (يقهقه) سنلقي القبض عليها ونزج بها فى اعماق السجن .. هذا كل ما هنالك .

الاب : (يخرج من غرفته) ماذا هناك؟ ماذا جرى ؟ اذا كنتم فى حاجة لشيء ، فانا صاحب المنزل .

الضابط : اين جميلة ؟

جميلة : (خارجة) ها انذا ..

الام : لا ، دعوها ، خذوني انا ..

الاب : انا صاحب المنزل . وعلي التبعات كلها .

الضابط : لا تخف ، ستذهب انت كذلك معها .. هيا القوا القبض عليهما . على جميلة ، وعلى هذا الهرم ودعوا العجوز لحراسة المنزل

الام : يا مجرمون .. يا سفاكين .. اننا لا نعمل شيئا سوى اننا ندافع عن اوطاننا التي اغتصبتموها اغتصابا .. خذوني كذلك انا

الضابط : اخرسي ، والا فسيريك هذا السوط .. (يلعلع سوطه فى الهواء)

جميلة : اماه ، صبرا جميلا ... الله معنا ..

الاب : اصبري يا خديجه .. الله مع المظلومين .

الضابط : هيا يا جميلتي .. هيا ..

جميلة : لا تلمس يدي . ها انا ذاهبة

(ضجة وصياح من الشارع)

فــاصــل

الضابط : هيا .. الم يرجع رشدك اليك لتقري لنا بالحيقة ؟ انك اذا اعترفت لنا بكل شيء فسنعطي عهدا باطلاق سراحك .. نريد ان نسحق الراس ، حاجتنا بالراس، تحت امر من تخدمين .

جميلة : اننا لا نعرف بعضنا بعضا .. انا التي وضعت القنبلة ، فماذا يهمك من الاخرين ..

الضابط : الا تريدين ان تعترفي وتنقذي نفسك من العذاب الاليم

جميلة : بماذا تريدون مني ان اعترف؟ لقد اعترفت لكم بأني انا التي وضعت القنبلة ، فماذا تريدون اكثر من ذلك ؟ رفقائي لا اعرفهم، اسماؤنا كلها مستعارة .

الضابط : اين كنتم تجتمعون ؟

جميلة : لم تكن لدينا امكنة معينة للاجتماع،كان يأتينا احدهم لاعطاء التعليمات .

الضابط : لقد ضربناك بالسياط ، وشوينا جلدك بالنار وحرقناك بالكهرباء. ومع هذا فانت لا تزالين عنيدة لا تلينين .. انظري لهذه الصور ، الا تعرفين واحدا منهم ؟

(يريها الصور)

جميلة : لا .. وجوههم كلها غريبةعني

الضابط : اذا اعترفت بأسماءرفقائك، فسنطلق سراح ابيك ، وكذلك سراح صهركم رشيد .. واؤكد لك باننا لن نمسكم بسوء .. انت فتاة غريرة ، اثروا عليك وخدعوك ولم نلق القبض عليك الا للوصول اليهم بواسطتك انت ، وبعد ذلك سنطلق سراحك وسراح ابيك الذي لا يستطيع ان يتحمل عذاب السجون وكذلك صهركم الذي ترك اولاده الصغار من بعده . اقري بالحقيقة واريحي نفسك واريحينا ..

جميلة : لقد اعترفت بكل شيء ..

الضابط : ويحك . خذوها من امامي وغطسوا رأسها في حوض الحمام حتى تختنق .. ان راسها اصلب من الحديد فلعله يلين .

جميلة : (تتمتم) اعني يا ربي .

(يشدها العسكر بحبل الى عمود افقي ويغطسون راسها في الماء .. فتصيح صيحات الالم والعذاب بصوت مختنق) .

الضابط: كفى ، الا تريدين ان تقري

جميلة : دعوني .. ارحموني .. انني لا اعرف اي شيء .

الضابط : استأنفوا ، راسها لا يزال صلبا .. هذا العذاب ، سيلاقيه ابوك انهرم وصهره .. انت التي ستحكمين على ابيك بالموت ..

جميلة : (تصيح بصوت مرتجف) لا اعرف اي شيء .. لقد اعترفت بكل شيء.. لن تخرج كلمة واحدة من فمي اكثر مما قلت مهما عذبتموني ...

الضابط : ويلك، استأنفوا ، استأنفوا

(يغطس العسكر رأسها في الماء .. فتصيح بصوت مختنق)

الضابط : كفى .. الم يلن هذا الرأس الصلب بعد ؟ لقد اغمي عليها . اعيدوها لصوابها واستأنفوا ، لن تكون اقوى مني .. هذه الفتاة النحيلة الغرة لن تكون اقوى من العذاب سأعذبها. سأشوي لحمها شيا،سأغرس الزجاج في لحمها حتى تعترف .. سأحطم هذا الراس تحطيما ان لزم الامر ..

فــاصــل

عمر : ما قولك يا احمد ؟ انها لم تعترف ، وقد علمت بأنها قاست ولا تزال تقاسي من العذاب الوانا واصنافا .. ضميري في اهتياج ، وكثيرا ما افكر بتسليم نفسي لانقذها من مخالب الجلادين القساة

احمد : ويحك يا عمر .. اذا سلمت نفسك فسنفقد بذلك خلية نشطة من الخلايا التي تعمل في سبيل الوطن .. اتريد ان تضيف الى قائمة الضحايا ضحية اخرى ؟

عمر : اذا سلمت نفسي . فسيكفون عن تعذيبها ..

احمد : اذا سلمت نفسك . فلن يكتفوا بك ، بل سيعملون جميع الوسائل لمعرفة اسماء رفقائك ، وقد يلجئون لتعذيبها بقسوة ووحشية امام عينيك لجبرك على الاعتراف ، انهم خداعون ماكرون ولا يرتدعون امام اية وسيلة كانت للوصول لغرضهم الدنيء . لن يكتفوا بك وبي ، بل سيحاولون وضع ايديهم على جميع الرفاق . ولن يتقهقروا امام اية فظاعة ووحشية .

عمر : انني اقاسي من العذاب ..وان عذاب الجسم ليهون ازاء ما الاقيه من الام نفسية لا تصور .. لقد اصبحت مكانة جميلة غالية جدا عندي ..

احمد : مكانتها غالية عندنا كلنا . وانني مستعد ان اسلم نفسي لاطلاق سراحها ، ولكن كن على يقين بانهم لن يكتفوا بنا ،ولا يحق لنا ان نستهين بارواح الاخرين..

عمر : معك حق .. مصيرنا في يد القدر .. وقد نلتقي في هذه الدنيا او لا نلتقي . ولكن لا يحق لنا ان نفرط بنفوس الاخرين ولا بنفوسنا، وان نلجأ للاستسلام مهما قوي عذابنا ..

احمد :نحن مجاهدون في سبيل الوطن .ولا يتم الجهاد الابالتضحية والالام .. نحن سلسلة متعددة الحلقات ، وكلما فقدت حلقة ، علينا ان نسرع بتعويضها حتى لا تتضعضع . لا ان نتركها فارغة .. اذا فقدت انت جميلة .. فيجب ان تحتفظ بنفسك سالما. من اجل الوطن جميلة قامت بواجبها على اكمل وجه ، ويجب ان تقوم انت بواجبك ، ووطنك يطلب منك ان تكون شجاعا قويا

عمر : من الان فصاعدا سنضاعف نشاطنا . ونقوم بالاغتيالات تلو

شكوى

* * *

سأذيب روحي فى هواك نشيدا   واصوغ من حرق الفؤاد قصيدا
انا فى هواك معذب فلاعتصر   لك من شظايا قلبي التغريدا
مرغت اشجاني بنارك فاغتدت   شعلا تدك كياني المهدودا
وطغى لهيب الوجد ملء جوانحي   يجتث اشلائي دما ووريدا
ومضيت والالام تنهش مهجتي   وتكاد تسحق حلمي المنشودا
وفؤادي المكلوم اضناه الاسى   ورماه فى اشراكه مصفودا
هيمان يلعق من جراحات الهوى   غصصا تغل لسانه الفريدا

انا لم انل فى الحب الا شقوة   ابدت لقلبي حظه المنكودا
وعواصفا صخابة مسعورة   اذوت ربيعي زنبقا وورودا
ومضت بانغامي العذاب فلم اجد   الا صدى منها يرن بعيدا
فغدوت والانات تلسع مبسمي   ابكي صباي وحلمي المفقودا

انا فى هواك معذب فمتى ارى   قلبي يحلق فى سماك سعيدا
يشدو مع الاطيار فى راد الضحى   هزجا يناغي حسنه المعبودا
ويصوغ الحان المنى ويرص في   جيد الليالي درها المنضودا
ومتى ارى الدنيا تهش لناظري   نشوى تداعب عمري المكدودا
وتجود ايامي علي ببسمة   سحرية تذر الشقاء بديدا
فيرف للنعمى فؤادي هانئا   لا تبقي بؤسا ولا تنكيدا
يشدو وقلب الكون فى اصغائه   ثمل يؤمل من غناه مزيدا
اشكو تباريح الهوى كي تمسحي   دمعا اذاب محاجرا وخدودا
وتهدهدي صبا اضر به الجوى   وتبددي الامه تبديدا

صنعاء ــ اليمن   **عبد الله بن علي الشرفي**

الاغتيالات ، لنقضي على انفاس جميع الخائنين .. لقد ذاقت جميلة اقسى الالام وتحملت العذاب ولم تفه باسمائنا . ونحن من اجل هذا الاسم العزيز يجب ان نتابع جهادنا بقوة وعزم ..

احمد : انهم الوشاة .. هم الذين اودوا بجميلة وهم يودون بالمجاهدين فى كل يوم .

عمر : ونحن سنكون هنا آلة رعب وانتقام، من جميع الوشاة الغادرين .. اذا مت ، فستكون صورة جميلة اخر ما يرتسم من هذه الدنيا فى عيني ..

احمد : سيكون لقاؤكما فى العالم الثاني ..

عمر : هيا يا احمد ، ادع الرفاق لاجتماع هذه الليلة .. ستكون العمليات اكثر عنفا من قبل ..

احمد : الله معنا ..

عمر: وبعونه سيكون النصر رائدنا.. اعنها يا رب على تحمل العذاب..

احمد : ليعن الله كل من يقع بين براثن هؤلاء الوحوش القساة ..

عمر : اعنها يا رب واعنا .. واجعلنا اقوى من العذاب ..

تونس   **ناجية ثامر**



النـــاي والريـــح

شعر – خليل حاوي – ١٦٨ صفحة–منها ٥٨صفحة اقوال النقاد فى شعر خليل حاوي–منشورات دار الطليعة ببيروت–مطابع دار الريحاني ببيروت

يمتاز ديوان الناي والريح بميزة خاصة هي الوحدة العضوية المتكاملة . فان القصائد الاربع يأخذ بعضها برقاب بعض وتتشابه من عدة وجوه . يعرض الشاعر فى ديوانه لقضية حياتية اساسية استأثرت بتفكيره والفت بين مظاهر الحياة المختلفة . انه يسعى جاهدا ليرد كل دقيقة من دقائق الوجود الى موقف شمولي ، انساني، حضاري ، فني ، لذلك توحـدت التعابير والتقت الاناشيد وتآلفت الجزئيات .

لم يضع خليل حاوي ، عندما كتب « الناي والريح » ، القارىء العادي نصب عينيه ، فشعره يكاد يكون وقفا على القارىء الثقيف المتمرس في ضروب الفن . من هنا منشأ الصعوبة فى شعره اذ انه بتوحيده بيــن عمق الفكرة والاخلاص للتجربة والاصالة فى التعبير ، خلق جوا كثيفـا غنيا . فالفيلسوف تسبيه الفكرة العميقة والفنان يثأر ابعاد الصورة وشخوصها . هذا التنوع ضمن وحدة متكاملة لا يجعل الديوان مشاعا يلهو به القارىء ، انما هو موحد على تباين فى مصادر التكوين . يطل الشاعر على الافاق الانسانية المترامية من خلال ذاتيته. فهو يطبع اشكال الوجود بطابع نفسه . اما الشعور الاساسي الذي يلازمنا عند قـراءة الديوان هو ان الشاعر لم يتنكب قط لموقف ايجابي اراده فعلا ، هادما فبانيا . وسنعمد الان الى حصر الكلام فى اهم نقاط الديوان وهي : اولا: تأرجح النفس فى ازدواجية تتهادى بين العبث ودفق الخلق . ثانيـا : الهدم . دفع الشاعر ايمانه بالقيم فرفض وبرفضه اراد تأكيد قيـم جديدة هي مقياسيه فى عملية التقييم للواقع . ثالثا : سنتناول التشييد ودور المرأة فى الديوان ومن ثم بعض عناصر الديوان الفنية .

ازدواجية الشاعر : تلازم الشاعر فى مجمل قصائد الديوان ازدواجية صارخة توقفنا على اضطرام نفسه وتوزعها . الا ان هذه الثنائيةمشدودة باصل وهو معاناة ميتافيزيقية لمشكلة الوجود ذاته ، فتخطى الشاعر في ديوانه حدود القوميات وانطلق الى مستوى انساني شامل ينقب عـن وجه جديد للحياة وعن مصير الانسان فى كنفها فاصطدم بواقع مريـر ، جمود نبضة الحياة فى الحضارة الانسانية ، شرقية كانت ام غربية .راعه ما رأى وما وقف عليه فانتابه شعور ، وكأنه حلم بعيد ، بضرورة اعادة الخلق من جديد ولكن واقع الحياة المتجمد باشكال مؤسسات دينيـة واجتماعية وسياسية واخلاقية وفنية يقتضي قوة جبارة لتزيله . حيال هذه كلها يتوقف الشاعر جزعا اذ يخامر نفسه العبث من اعادة الخلق . ويعصف تيار الضعف فيه ويثنيه عن ايجابية العمل ولكن سرعان مـا يندحر ذلك الضعف امامجبروت القوة والتحدي وزخم العطاء . تتتالى فى نفس الشاعر هذه الاصوات فاذا ما استرسل فى ضعفه تهرب الـى « البصارة » ، وبنى عالما وهميا ، فتستأنس نفسه بالفكرة ، فكرة البناء، وما ان يكتشف جنون المحاولة ووهميتها حتى ينتفض ليعمل معوله فى الهدم ، تمهيدا لبنيانه الجديد . فى هذا الجو النفسي تسرح افكار الشاعر فىخضم الذكريات وتتداعى الافكار بتناسق سيكولوجي لـــه منطقه الخاص اذ يستدرج القارىء فيتبعه فى جميع حالاته النفسية وايماءاته البعيدة التي تبرز اثناء الغوص فى المشكلة. فى هذه الارجاء الرحبة نجد تآلفا كليا بـين جميع امكانيات الشاعر. فتتضافر الكلمة وموسيقاها ،والجملة وتركيبها ونغمها،والصور المختلفة، وتنسجم هذه كلها مع نبضات النفس فى قلقها واضطرابها وتحديها وتحركها للخلق . فما صوت الجن ومغريات الناي والحنين الى الديار والاهل والمحبوبة ، هذه الجزئيات التي تمثل وجها من اوجه اثنينيته ، سوى جزئيـات بالنسبة الى المشكلة الاساسية الكبرى. الا انها تمتاز بالقيام بوظيفتين: فنية ، اذ ترسم الافاق التي تضربها افكار الشاعر فى تداعيها كما وانها تسبغ على المعاناة الكبرى حقيقتها وواقعيتها لدى تسامي الشاعر عنهـا الى الكليات الشاملة . كما وان هذه الرموز حسية وخاصة . الا ان الشاعر ينطلق من الخاص الى العام ومن الحسي الى التجريد دون ان ينفصم العرى بينها فتبقى مترابطة متفاعلة وهذا التحقيق الرائـع ، ربط جماح العام بالخاص والمجرد بالحسي ، خلق فني اذ ان القـارىء فى تجواله بالافاق التي تخطها القصائد لا يفقد ارتباطه بالواقع فتبقـى التجربة زاخمة بالحياة فاعلة فى اعماق النفس على صعيد عال مـــن الفن . وهنالك عامل اخر يضفي الحياة على التعبير وهــو تشخيص الرموز . فللريح « جوع مبارد الفولاذ » وللشمس حضن وللبيت حنوه والزوايا صامتة . وهذا التشخيص يحيي التجربة فى نفس القـارىء فيتعاطف والشاعر فيتمثل تجربته .

مرحلة الهدم : ينفذ الشاعر الى هذه المرحلة مـن خـلال صوتـه الايجابي ، الصوت الذي وقف فى وجه « البصارة » و « النـــاي » و « الصديق » . عندما ثار على البصارة وما تلفقه وضحى بالاهــل وبالعائلة فى سبيل الكلمة التي هي اشبه بالزوبعة فى اقتلاع الرواسب وفى استثارة الرياح والعاصفة . من العبارة سوف تهب الريح الغضوب تهدم كل ما تحجر او ترسب من تقاليد وتفضح ما علق بدثارها من دنس وريـاء . كلمة الشاعر البناءة هي التي ستقتلع الاساليب المنمقة التي تستر العار والمهزلة فى ثناياها . الريح التي ارادها هادمة تبعثها الكلمة الجديدة لتجهز بالكلية على الجماعة المتصدية للحقيقة المختالة داخل سياج ضيق الافق . ثم انه ينتقض على الزمن ايضا من حيث هو قيد يحد من جذوة النفس الفتية دائما ويحد من عملية الخلق المتواصل اذ ان الزمن يتضمن النهاية ، والشاعر يتوق الى الديمومة والسرمدية . وقد يكون هذا الموقف بالذات هو ما ادى بالشاعر الى التنويه عـــن الديمومة بوحدة الحياة والوجود والمتجددين . (ويبدو لي ، ولكني لست متأكدا بعد ، ان خليلا يشير بابهام الى فكرة التقمص) . فالتحجـر والاقنعة المتجمدة والسياجات جميعها عوائق تحد من انطلاقة الحـياة وعفويتها وبراءتها وتلقائيتها ، لذا اعمل بها معوله . شأنها فى ذلك شأن كل من يموه ويزور ويداجي . لذا نراه يسلط عليها ريحا تمسح مـا تحجر وتطهره ليمهد السبيل الى الخلق . ولا يستثنى فى ذلك تاريخه باكمله . فتاريخه متكدس باروقة مليئة بالصور الدنسة القذرة .

ريح تهب كما تشير عبارتي
للريح موسمها الغضوب
للريح جوع مبـارد الفولاذ
تمسح مـا تحجـر
مــن سياجات عتيقــه

ويعود ما كانت عليه
التربة السمراء في بدء الخليقه
بكرا لاول مرة تشهى
بحضن الشمس ، ليل الرعد
بوجهها ، وتستمري بروقه

وكان الشاعر يبحث عن عدن جديدة لاعادة الخلق من جديد .

مرحلة التشييد : ان الهدم الذي عرفه الشاعر يحتوي في ذاته بناء ، فليس هو بالتخريب الهدام . فهو كالثائر يرفض ليؤكد . فالجديد سيمرع على انقاض هذا القديم . وتجمل الشاعر بالصبر والبراءة والطفولة النامية من ذاتها ساعدته على البناء . في هذه المرحلة يخرس صوت الجن وتزول البصارة من الوجود ويلتزم المبادرة صوت الشاعر المتفائل البناء . لقد نجا الانسان من العدم بديمومة تجدده في الفير الذي انجب . فاذا ما اعترى وجهه الغضون لم يحدث ذلك في نفسه نكسة فهو سيبعث ثانية من جديد باتحاده بالعناصر الطبيعية الحية . ان هذا الشعور بالذات ، اغرى الشاعر بالانتحار على جسر واترلو اذ لم يعد للموت رهبة واهمية فهو هنيهة انتقال من شكل عرضي في الوجود الى شكل عرضي اخر .

ولكن عملية الخلق ليست بالامر اليسير . فالبدء بالمواد الخام ، بالتراب البكر ، يقتضي فنانا مبشرا :

عدت اليكم شاعرا في فمه بشاره
يقول ما يقول
بفطرة تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول

المرأة : في كل قصيدة من قصائد الديوان ظل من امرأة ترفد الشاعر في ساعات خلقه ، في ساعات ضيقه وحرجه تدفعه شوطا الى الامام ولكنها لا تحل له مشكلة . قد تزيد في بعض الاحيان مشكلاته فيستنجد بفنه لحل هذه المشكلات . وخليل لم يفهم المرأة في ديوانه على انها دمية يمحضها الحب في الاقبية الوطيئة فحسب بل عرفها ايضا اما تتحرق الى لقياه ، ومحبوبة بريئة جريئة . فالمرأة لم تكن مرحلة بالنسبة اليه . فاذا ما تساقى مع الفجرية الهوى ، اصابه شعور بالفراغ مقيت . فالمرأة هي عامل من عوامل الخصب والدفق والحياة . هي ضرورة للانسان وبدونها لا تكامل لدورة الحياة .

الموسيقى : واما فيما يتعلق بالموسيقى فلقد جرى التقليد ان يتبع الشاعر وزنا معينا وان يقفي ابياته . الا ان المعنى للموسيقى هو ذلك التناغم بين حالات الشاعر النفسية والتعابير والتراكيب التي ينتقيها ليعبر عن معاناته . فللانفعالات النفسية موسيقى تتقمصها اللفظة والجملة متفاعلتين . فاذا ما تفجرت المشاعر والاحاسيس وتداعت الافكار بسرعة خاطفة ، او اذا استكانت النفس واطمانت تالت التعابير واندفعت شلالات زاخرة او انسابت مترنحة هادئة . في هذه الاداء يجب ان نبحث عن الموسيقى . الا ان هذه النظرة لا تعني بالضرورة التخلي عن اي وزن لذلك كان على الشاعر ، في رأيي ، ان يبني موسيقاه من العنصر الاول التفعيلة ، فيخلق وزنه . وجل ما في الامر الا يتبنى الشاعر وزنا معينا ثم يسعى لسكب مادته فيه ، ففي ذلك حد لعفويته وتلقائيته يقضي على اصالة الشاعر وميزاته الخاصة . لذلك ، لما نظرنا الى القصيدة كوحدة عضوية ، اضطررنا الى تقصي تفاعل جميع عناصرها غير مفضلين واحدا على الاخر . فالتفاعل بين هذه العناصر من الفاظ وصور وتشابيه وتراكيب ورموز يسبغ على القصيدة جوا لا يمكن ان يخلقه العنصر المستقل بحد ذاته . وهذا التفاعل بالذات ليس عند الشاعر الاصيل ، سوى تجسيد لصدى انغامه النفسية . هذه هي موسيقى «نهر الرماد» و « الناي والريح » موسيقى سيمفونية . وعلى سبيل المثال اورد المقاطع التالية :

بعضنا مات ادفنيه ، ولماذا
نعجن الوهم ونطلي الجمجمة ؟
اسندي الانقاض بالانقاض
شديها ... على صدري اطمئني
سوف تخضر
غدا تخضر في اعضاء طفل
عمره منك ومني
دمنا في دمه يسترجع الخصب المغني
حلمه ذكرى لنا
رجع لما كنا وكان
ويمر العمر مهزوما
ويعوى عند رجليه
ورجلينا الزمان

ياتي هذا المقطع بعد قطعة مشحونة بمرارة الوحشة والم الذكرى وشدة العياء ، يختلجها خيط من الياس خفي وفجاة ينتفض الشاعر من هذه الحالة ، يدفعه شعور بالتحدي مستمد من يقينه بالخلود فترتاح نفسه فينشد « اسندي الانقاض ... شديها ... اطمئني ... سوف تخضر ... » في هداة الطمانينة تنساب نفسه مرتاحة في نعيم جو غنائي . قرت نفس الشاعر في انتصاره فانجذب عن عجلة الزمان وتعالى عنها فهوى عند رجليه الزمان .

واني ، بالنظر لعمق التجربة واخلاص الشاعر في معاناتها والفن الذي جسد هذه المعاناة ، مؤمن بان خليلا خالد في شعره خلود الانسانية فمعاناته ، اذ تنطلق من واقع فكري خاص ، لا تلبث ان تغوص الى جوهر مشكلات حياتية يجابهها الانسان في اي مكان وزمان ما دام الانسان انسانا . وسيبقى شعره ابدا تعبيرا متجددا عن خلجات النفس الانسانية .

فؤاد سعيد حداد
الجامعة الاميركية في بيروت

•

نار واصفاد

ديوان ـ محمود حسن اسماعيل ـ ١٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر الدكتور المحاسني اسم المطبعة)

تهدهد الشعور اوتار القيثار فيرتاح بعد اضطرابه ، وتنسكب الالحان في النفوس فتحس روح الحياة بعد القلق والعناء . ولقد عاش القيثار منذ اليوم الذي ابتكره المنشد الاسطوري (اورفه) الاغريقي وسيلة للغناء ، وتمسيد العصب المهتاج ، ولكم رحت اعجب حين سميت هذا الحديث بالقيثارة الملهبة وانا اقرأ ديوان الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل ، الذي وسمه باسم (نار واصفاد) . فالنار المندلعة من شعره الوطني اللاهب سرت كالكهرباء في اوتاره فانتفضت لحونا حماسية ، واناشيد فدائية .

ولئن تكلم قبلي ادباء ونقاد على هذا الشعر القومي الحديث ، الذي اطلعه الشاعر اسماعيل في ديوانه الاخير ، فان لكل صاحب فن زاوية ينظر منها الى الاشياء ، وما اجدر النقاد والدارسين لاثار الفكر والفن ، بان يكونوا كالمصورين الذين يقتعدون في زواياهم التي تروقهم ، ومن صوبها ينظرون الى الصور والاشكال لينقلوها الى الواحهم ، وقد يجدون في ذلك كثيرا من حرية الفكر والفن .

لقد جلست ارى الى النار المتوهجة في شعر عربي رصين ، واسمع تكسر الاصفاد في وصف الجهاد ، والاستشهاد ، خلال قصائد هذا الديوان ، وقد جاءت في وحدة موضوعية ، وكانها كتاب ذو مقدمة وفصول وخاتمة . بل لعل دارسي الادب الثائر ، في العصر الحديث ، يجدون في هذا الديوان وثائق ومرايا لحركات الجهاد والانبعاث القومي ، في ديار العرب ، وبخاصة على ضفاف النيل .

وجدت الشعور الديني في صفائه وقنوته ممزوجاً في هذا الشعر، بالشعور القومي، والوطني، فمن الفاظه الدالة على هذه المنازع الصافية استعمال الشاعر مياسم للقصائد كقوله : اذن الفجر واندلعت شرارة الانبعاث، وقوله تكبيرة الحرية ونفخة الصور . وكنت ألوب لدى الشعراء المعاصرين على نبع من مثل هذا الفيض، حيث يلتقي ايمان الوجدان، بعقيدة الاوطان . وفي عود الشاعر الى تاريخ الرسول الاعظم، مشاهد رائعة في صدق ما كان يصنع الايمان في الجهاد والفتوح . فعلى صدى الابتهالة الصاعدة، من قلب الشاعر محمود حسن اسماعيل، وتمجيده الصادق للنبي الكريم، تمر مواكب قصائده، وكأنها رعيل أثر رعيل في ابطال مدججين بالسلاح، تخفق فوقهم البنود، وقد فغروا افواههم بالنشيد المجلجل، الذي تحسه الصدور، ويدوي في الاسماع.

سجلت هذه القصائد حركات الجهاد منذ عهد الرسول مضمخة بالحرية والامل في الهجرة وانبعاث الاسلام . ثم انتقل الشاعر بقصائده من افاق التاريخ، التي ضفرت على جبين العروبة آيات التخليد، الى اجواء العصر العربي الحديث، فاذا الهبة الكبرى في امة الضاد، واذا ارض الكنانة تغلي بالتحفز والانبعاث، مثل بركان يريد ان يثور، فعلى انتباهة الفؤاد الطافح بالايمان، اخذ الشاعر اسماعيل قيثاره وانشد :

قيل : بشرى السماء .. قالت : محمد
فاكبت اوثانهم وهي تعبد
واستجارت نيرانهم وهي تخمد
وتهاوى ايوان كسرى الممرد

وتهادى من سدرة الله فرقد ... دك بالنور كل ليل وسارا..

وكان شاعرنا يرى العرب السابقين لمهد الرسول في ضلالة وسوء مصير . وهو مذهب من يجعل الاسلام بدءا للامة العربية منذ عهد الرسول . على ان للعرب فيما قبل ذلك حضارة فكرية في اللغة والادب وفي الشعر بخاصة، وكان لهم بطولات تزاحم الاساطير بأهوالها ،وكانت لهم مروءات لا تحصى . لكن الشاعر آثر ان يرى الشعاع الجديد، وقد ملأ الدنيا بعد الجاهلية فانشد :

رب هذي مضارب الجاهلية
خيمت فوقها العصور الشقية

وحين يتخذ المؤرخون شواهد الشعر ادلة في التاريخ سيجدون في ديوان الشاعر محمود حسن اسماعيل اصدق النصوص لانتفاضة العرب المحدثين .

صور الشاعر الثورة العربية في ارض النيل، والدعوة الى الحرية والنضال من اجل الجلاء، ومعركة الفداء في بور سعيد، وانبثاق النور العربي الذي اخذ يعم العالم . كل ذلك اناشيد متوقدة من ملحمة العرب في العصر الحديث .

ويهز القلوب شاعر الوجدان والحماسة، حين يصور لنا في ديوانه (نار واصفاد) بؤس اللاجئين والخيام فوقهم تهزها الرياح، فيوقد شعلة الامل، من اجل رجوعهم الى الوطن المغصوب . ويهتف بثوار الجزائر، ليدركوا يومهم الكبير في ظلال الحرية، ويطيف بامصار العرب فاذا هي على ضفاف الرافدين، وفي اباطح الكويت، ومواسم الذكرى لحرية الباكستان .

وقفت لهيفا على قصيدته التي سماها (عصا المعري) فتمثلت (معرة النعمان) حيث يرقد حكيم العرب وشاعرهم ابو العلاء، واذا شاعرنا يقول له بين التمجيد والعتاب :

يا قابعا في ظلام فوق لجته ... اعصار فكر عتي الباس صخاب
سواده لاغاني النفس مسبحة ... وصمته لجنون الشك محراب
خل الحقيقة لا تحفل بموطنها ... ولا عليك اذا طلابها خابوا
ان الحياة حياة كيفما وجدت ... وسحرها لجميع الخلق جذاب
علام اشبعتها ذما ومن يدها ... نور بعقلك للازمان خلاب

وكان شاعرنا استحضر الفيلسوفين الاغريقين اللذين كانا اول الدعاة الى حب الحياة « أريستيب » و « أبيقور » لكي يلوم بهما فلسفة أبي العلاء في الانصراف عن الدنيا . وحين زار الشاعر محمود حسن اسماعيل « حلب الشهباء » عاصمة سيف الدولة الحمداني، راعته ذكرى الثائر العربي « عبد الرحمن الكواكبي » فصنع قصيدة متدفقة بالحرية والنور، من اجل بطل وبلد، تعتز بهما ديار الشام، فراح يقول في اعقاب القصيدة :

شهباء قصي يقص الدهر واستمعي ... فكم بأرضك عز الشرق والعرب
اصغي لقبر صلاح الدين ان به ... لحنا يكاد من الايمان يلتهب
وعفو سمعك ان لم تشج قافية ... فان سحرك يبلى دونه العصب

وكنت اؤثر للشاعر ان يذكر في حلب بطلها الخالد سيف الدولة الذي كان حامي حدودها امام البيزنطيين، من قبل عصر صلاح الدين .

وكان مطلع قصيدته الملهبة :

مشى الي خريف الوحي يقترب ... مدي يمينك بالالهام يا حلب

فعلى رسلك يا شاعري الموهوب، فلئن قلت انك تدلف الى الخريف، فوحق الشعر، اني لارى الهامك ما يزال في عنفوان الشباب .

القاهرة — زكي المحاسني

•

ملحمة الانسان

شعر — ثريا ملحس — ٢١٦ صفحة — منشورات دار الكتاب اللبناني(؟) — مطابع دار الشمالي للطباعة في حريصا لبنان

لأيام خلت زودت الكاتبة الموهوبة ثريا ملحس الخزانة الادبية بديوان شعر جديد اسمته « ملحمة الانسان » وفي هذا الديوان نحت ثريا نحوا جديدا في نتاج جديد ...

وقبلا كانت ثريا دعامة من دعامات المدرسة الرمزية في الشرق العربي لكنها في ديوانها الجديد تناست ذلك اللون من الشعر الطمطماني الموسوم بهتانا بالرمزية !

لتعذرني ثريا على هذا «التقديم» فاني اود لها من الخير ما توده هي لنفسها وافخر بادبها فخرها بنتاج قلمها . وكم تمنيت لو انها اقلعت عن ذلك اللون من الشعر وجابهت الحياة سافرة بلا لثام ... وعالجت مشاكل الحياة، وهي الاديبة التي استشرفت الصور اللماعة في شوامخ الكتب وعبت من معين الادبين العربي والغربي، ما سلحها بثقافة ممرعة رتيبة لم تبلغها الا القلائل من اديباتنا العربيات !

حزمت الشاعرة ديوانها « ملحمة الانسان » على خمسة ابواب اولها « مع الله » وثانيها « مع الوطن » وثالثها « مع النفس » ورابعها « مع الماضي » وخامسها « مع البشر » وكم تمنيت لو ان صفحات مجلة « الاديب » الكبرى وهي المورد العذب الكثير الزحام تتسع لاكثر من هذه العجالة لتناولت (لوحات) هذا الديوان التي جاءت تتهادى باصباغ خلعتها ريشة شاعرتنا عليها وبتلاوين وشت بها تلك (الصور) لوحة لوحة ! ولئن حالت صفحات هذا الحقل دون الاسهاب والتطويل فانها تتسع بلا ريب لكلمة عاجلة اقولها في باب « مع الوطن » هذا الباب الذي عالجت فيه ثريا (قضية فلسطين) وهي اولى قضايا العالم العربي واخال شاعرتنا قد عالجت هذا الموضوع القومي الحساس لاول مرة وهذه ظاهرة طيبة تغبط عليها (ثريا) و (القضية) التي لم يرو التاريخ اظلم منها .. فكسبت فلسطين بهذا التحول جبارا من جبابرة الفكر العربي

ولتعذرني ثريا اذا ما صارحتها بايثارها (الرمزية) على مشاكل وطننا الكبير المثقل بهمومه، الراسف باغلاله . ولو انها اولت امتها المظلومة بعض نتاج قلمها لربحت الامة العربية وقضاياها بثريا ربحا لا احسبه بالقليل ولكسب اللاجئون المشردون باديتنا قلما خصبا له قيمته في الادبين العربي والانكليزي .

وفي باب « مع الوطن » حزمت ثريا اثنتي عشرة (لوحة) كانت باكورتها

« نهر الاردن » ذلك النهر الذي غسل فيه السيد المسيح ناسوته وكانت ضفتاه مسرحا لعجائب السيد الذي قالت ثريا بلسانه :

لو عاد (عيسى) فى البشر
ماذا تراه يسال ؟
لو قال : يا قومي الم
ترعوا بلادا قدست
فاصفر منا اوجه
رحنا بذكرى حالمه
قلنا : مكان المولد
فيها ، وذكرى المهتدي
فى بيعة (انجيله)
فى مسجد (قرآنه)
انشودة لن تصمتا
الا لحق ينتصر
هل نحفظ ، عهد القسم :
للنهر الا ينضبا
للشمس الا تغربا
للبيت الا ينهدم
للارض الا تسلبا ؟
هذي يدي ، خجلى بهم :
قومي ، يخدرهم قدر
تاهوا ولم يبق اثر

للحق ، للمجد الاغر
تاهوا ، وضلوا فى البشر
قومي !
هذي يدي
وامدها نحو العلاء
ترتد خائبة الرجاء
يهوى على اكليله
شوك يدمي راحتي
يا قومنا ، لا تتركوا
لصا يواري نهركم
نهر المحبة والسلام
ويئن من جرح العداة
نهر المحبة والصلاة
ماذا يقول (المصطفى)
عنا ،
ونهر الذكريات
يغنى ،
و (عيسى) المرتجى
منا ؟

وكانت « حيفا تنتظر » (اللوحة) الثانية وفيها صورت الشاعرة جارا حمى ديار الجدود ودفع عنها عوادي الايام وبدد اطماع العدو الغشوم:

فيما مضى ، جار قضى
يحمي ديارا سادره
فيما مضى ، جار قضى
فى الحقل ، يرعى ماشيه
بالناي يتلو سورة
قصصا والف حكاية
يتلو لنا ، جار لنا
يحمي ديار جدودنا
وحقولنا ،
فيما مضى ، لمّ لنا
عشبا لنبني سورنا
حتى يفر المعتدي من ارضنا
فى صدرنا كان القسم :
سنعود يوما ننشد
سنعود فى ظل الشجر
سنعود مهما ننتظر
نعلو على عزم القدر
ومضى على قسم لنا
عشر سنين ،
نفثات من حقد البشر
يا ويلنا ، يا ويلهم
فى ثانيه ،
هدمت بيوت شامخه
سحقت الوف من بشر
وعلى رصيف نزحف
ونقامر ، ببلادنا

يا ويلنا ، يا ويلهم
أيموت فينا ساهر
وضميرنا ؟
ايعود اولادنا
يبنون صرحا عاليا
يحكون قصة ارضنا ؟
فيما مضى ، كنا بحيفا ارضنا
ننفل من امواجها
فى بحرنا ،
نرمي المدى بقطوفها ، من كدنا
من زرعنا ،
وبيوتها من صنعنا
يحكون عنا : كان آباء لنا
من جهلهم ، هدموا ديارا ساميه
يا ويلنا ، يا ويلهم
جهلاء كنا ، لا نرى
من ياخذ وترا لنا ؟
والطير صاد لا ينام
انا لقوم (لاجئون) !
ويعود فينا صوتنا
صوت الضمير ،
ونهب يوما ننشد :
سنعود فى ظل الشجر
سنعود مهما ننتظر
نعلو على عزم القدر
سنعود (حيفا) تنتظر !

ودارت الدائرة على اهل فلسطين فشردوا تحت كل نجم وكوكب وهاموا على وجوههم اضيع من الايتام .. وبارحوا ديارا عزيزة كان يقول فيها كل منهم :

بلاد بها نيطت علي تمائمي   واول ارض مس جلدي ترابها

وفى تلك اللأوآ صورت ثريا عويل (الفلسطيني التائه) ودعوته الله لينقذ زغب قطاه ، بعد ان عصفت بهم النكبة ، وتشتت الاهل والاحبة :

الحر كان لاهبا
والبحر جاش مزبدا

عويلهم يذوب فى امواجه
وقلبنا يدور الف دورة

ويركع :
يا ربنا ، انقذ لنا
اطفالنا ، يا ربنا !
وبعد ساعة سنلثم التراب
ونسجد :
يا ربنا ، احفظ لنا اطفالنا
والدمع يجري ثائرا
يا ويلهم من ربنا !
ونسرع
ونصرخ :
عجل بنا يا سائق ،
مجدف ،
رصاصهم مصوب فى ظهرنا
وتصرخ فى الزورق
اخت الوطن !
وينفر من اصبع لها دم
من وجهها ،
تصيح : يا ربان عد بنا الى
ارض الوطن ،
نسيت اصبعي مع الاعداء
يا ربان يا ...
يذوب صوتها بامواج عظام
يموت فى ضلوعها
يغمى عليها حانقه

يا ويلهم من ربنا
اخرى تشد طفلها
تشده ، تبكي ، تقبل العيون
تزغرد ،
واين الطفل ؟ وماذا تحمل ؟
والعين اين ؟.. تجهل !
تزغرد ، تبكي ، تشد لفة
لا شيء فيها ... تشهق
تردد ... نبكي معا
يا ويلهم من ربنا !
والموج كالمجنون يحدوه الامل
يصيح : يا صيدون، يا ارض الامل
استقبلي ابناء يافا اللاجئين
احدق ، احدق
يغيب فى اذني الوجود
احدق ، احدق
يغيب فى عيني القيود
واين امي فلذتي
ابي ، واخوتي .. وعدت اذكر :
فى ساحة ، فى حقلنا ، دفنتهم !
يا ويلهم من ربنا
متى نعود ننتقم
من غاشم
بلا ضمير ، يا فلسطين الجدود

كان من اعز اماني ان اتناول فى هذه العجالة (لوحات) هذا الديوان لوحة لوحة، لكن ضيق المجال ، وزحمة الاعمال يحولان دون المضي في هذا العرض الماتع ، فلتتقبل الاخت المجددة اعجابي مضمخا بطيب مودتي ، مترعا بعطر تحيتي ، وليغمر الله ايامها بالاناشيد ولياليها بلذيذ الاحلام وليثقل الله كرمتها بالعناقيد ، وليملأ بيدرها بالغلال ، وليفعم جرانها بالزيت والعسل !

عمان

البدوي الملثم

•

استقفاء الانباء فن : صحافة الخبر

تاليف ستانلي جونسون ، وجوليان هاريس – ترجمه بتصرف وصدر له وديع فلسطين – ٤٠٦ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين – منشورات وطبع دار المعارف بمصر

آية الكتاب الجيد ، ان يخلو من الحشو ، ومن التافه من الافكار ، والرخيص من الفن ، ولا يضطرك الى ان تقف ازاءه قائلا : ما كان اغناه عن هذا ؟ وما كان اجمله لو حذف ذاك ، ولكنك اذا عبرت الكتاب حتى انتهى بك المطاف الى النهاية ، ولم تهوم فى ذهنك امثال هذه الخواطر ، ولم تتردد على لسانك امثال هذه العبارات ، فهو كتاب جيد ، يستحق ما ينفق فيه من جهد ووقت .

وهذا الكتاب : استقفاء الانباء فن ، من هذا الطراز الذي يستحوذ على لب القارىء له ، ويملك عليه حسه ، حتى لا يشعر بالوقت يمضي ، والصفحات تطوى دون ملل ، او شعور بسأم ، كذلك الذي يأخذ المرء ، وهو يطالع كتابا ، ليس طوعا للنفس ، ولا حبيبا الى الفؤاد الذي يهفو الى الاثر ، ثم سرعان ما يرتد وقد اصابه الكلال ، لعجمة فى الفاظه ، او نبو فى عبارته ، او قلقلة بين بناياته التي تصدم القارىء الجاد ، والمطالع المتسلي على السواء .

على ان من ابرز مميزات هذا الكتاب ، ان فكرته واضحة ، وهدفه محدد ، واسلوبه عربي رصين . ومرد هذه المميزات الى ان مترجم هذا الكتاب : الاستاذ وديع فلسطين ، اديب يحسن التعبير فى كل فن ،

دار المعارف لبنان ش.م.ل.

بيروت – بناية العسيلي – شارع رياض الصلح – ص.ب ٢٦٧٦

تقدم للقارئ الديوان الثاني لشاعر لبنان والعرب الاستاذ بشاره عبد الله الخوري
«الاخطل الصغير»

شعر
الاخطل الصغير

في شعره ميزتان :

- موسيقى تبلغ حد الاعجاز
- اقحام الغزل في كل موضوع مما

يجعل لشعره نكهة ما عرفها الادب العربي منذ كان.

تأليف
بشاره عبد الله الخوري



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

لا سيما فن الصحافة التي عمل في خضمها اكثر من عشر سنين ، كان فيها معلما وموجها ، ومرسلا للرأي السديد ، وباحثا عن الخبر الفريد .

والذين قرأوا « المقطم » وطالعوا « المقتطف » خلال تلك السنين ، يعرفون هذا الكاتب العربي الاصيل في افتتاحياته لهذه الجريدة اليومية الكبرى ، التي كا نلها شان واتجاه ، ورأي وقراء في الشرق والغرب ، ما انفكوا يذكرون هذا العبء الاكبر الذي اضطلع به الاستاذ وديع فلسطين ، وهو مؤمن برسالته ، حريص على السير بها بين المعمرين فيها ، المتفانين في الوصول الى الهدف ، والمخضرمين في ساحاتها الذين وقف هذا الكاتب واياهم على الدرب ، ووصل ، وهم بعد في عرض الطريق يتطلعون الى الغاية ، ويتوقون الى هذه الامجاد العريضة المتفيئة الظلال ، لكن في خضم هذا العديد من تيارات الفكر ، وتصارع الاتجاهات.

والاستاذ وديع فلسطين ، لم ياخذه الغرور بفنه المتمكن ، ولم تلعب بنفسه اهازيج الانتصارات . فما زال يرمي بنفسه في ميدان الصحافة ، ويغوص بقلمه في بحارها ، ويخرج بهذه القيم التي تتناول فنون الصحافة، وتعني بتعليمها وفهمها على وجهها الصحيح ، دون بهرج او زيف ، او التواء في الغرض ، او سوء فهم لهذه الناحية الجمالية .

ولقد اضاف الاستاذ وديع جديدا في فن الصحافة ، دون من ، او دل على الذين تغنيهم هذه الدراسة المنهجية السديدة . فكان العبء شاقا ، والحمل ثقيلا لا سيما على رجل يريد التوفيق بين القارىء بالانكليزية والقارىء بلغة الضاد ، الا ان الذي لمس حياة هذا المترجم عن كثب ، وسبر كنهه عن قرب ، لا يستغرب منه العجب الذي اتى به في تعقيباته الراشدة ، ومادته الغزيرة التي ازدان بها هذا الكتاب .

والاستاذ فلسطين نفسه ، يحدثنا عن منهجه في هذا الكتاب ، وعن مرماه في هذه الدراسة التي سلكها ، فيقول :

« وقد توخينا في ترجمة هذا الكتاب فائدة القارىء العربي ، فحذفنا منه ما لا جدوى له في كتاب يصدر بالضاد ، واضفنا اليه ما تراءت لنا اهميته في سفر يتحدث عن الصحافة واستقاء الانباء بلغة سيبويه . فاذا دعت ضرورة الى تحوير بسيط ، ولا سيما في النماذج الواردة ، اجريناه خدمة للقارىء العربي . وكنا نود ان نمضي في التعريب الى اقصى مداه، فنستبدل باسماء المواقع والشوارع الاجنبية اسماء عربية ، ونحل اشخاصا يحملون أسماء عربية محل تلك الاسماء الاعجمية الكثيرة الواردة في الامثلة ، ولكننا آثرنا ان نبقي كل شيء على ما هو عليه ، خشية ان تنطبق الاسماء والمواقع على اوضاعنا ، فيحدث ضرر من حيث قصدنا النفع ، ولا نخال ذلك يضر القارىء ما دام القصد من الامثلة والنماذج هو الارشاد العملي دون سواه » .

وما دام القصد في ترجمة هذا الكتاب ، كان واضحا ، والنية فيه متوفرة ، والسير على هدى ، كان رائد صاحب هذه الترجمة ، فقد مضى في غير تهيب الى تقسيم هذا الكتاب الى سبعة اقسام ، هي المضمون الشكلي ، او هي العناوين الرئيسية لما يحتويه هذا السفر الضخم الذي اشتمل على اثنين وثلاثين فصلا ، تضم المجموعة المتفرعة من هذه العناوين ، او القواعد المتضمنة لكل ما ورد في الكتاب من فنون وانماط ، هي قمينة بالدرس ، وامعان الفكر في كل لمسة من لمساتها ، او هي التكنيك الصحفي بكل مضامينه: من العنوان والافتتاحية والخبر والمراجعة وصف الحروف والابناط وطبع الجريدة الى ان تظهر مستوية في ايدي القراء

والذي لا شك فيه ، ان تأثر الاستاذ وديع فلسطين بالمقطم ، واتجاهه في العناية بالخبر ، وحرصه على ابرازه ، وتنسيقه ودقته ، واستقائه من مصادره ، قد جعله يؤمن بان هذا الكتاب خير ما يقدم للصحفي : علما وعملا ، قولا وفعلا ، لذلك كان اقباله على هذه الترجمة ، وحافزه على هذا الجهد ، انطباعه على العناية بهذه الناحية التي عاشها «المقطم» اكثر من ستين عاما ، يحرص في امانة على الخبر ، ويوجه الى استقاء الانباء ، ويشجع على جلب الاخبار من مصادرها الموثوقة الدقيقة .

واغلب الظن ، ان الاستاذ وديع فلسطين عندما كان المحرر الاول لهذه الجريدة ، واسند اليه كتابة افتتاحيتها ، لم يجد ممانعة من نفسه من الانصهار في بوتقة هذه الجريدة ، ولم يصادف الا ميلا الى هذا الطابع الذي عرفت به « المقطم » طوال حياتها المديدة ، حتى كتب لها التفرد والسبق والبقاء ، حياتها التي عاشتها تصارع الاحداث ، وتحترب في سبيل الخلود .

على ان الدافع الاول ـ هو في يقيني ـ انه اول كتاب في العربية يرسم الحدود ، ويوضح المعالم لهذا الفن الذي عمل فيه كثير من بيئات مختلفة، وثقافات متباينة ، كلها كانت لا تهدف الا الى هدف ، الا البهرج الكاذب، والدعاية الرخيصة ، او ان هذا الكتاب على الاصح ، يجمع المبادىء العامة لاستقاء الانباء وروايتها وتحريرها ، والامثلة العملية اللازمة لايضاح كيفية تطبيق هذه المبادىء ... كل اولئك .. قد كان الدافع الى نقل هذا الكتاب من لغته الى لغة العرب الذين يحرصون على تناول هذه المبادىء سهلة ميسورة ، دون تعمل او غموض ، يخرج بها عن الفائدة المرجوة من هذه التطبيقات التي تضمنها هذا الكتاب ، وازدانت بها موازينه الشفافة . والذين يتناولون هذه الترجمة الاصيلة ، يجدون فيها شيئا جديدا ، خلت منه المباحث الهامة من كل الفنون : ذلك ان المترجم الحريص على نفع القارىء العربي ، لم يدخر وسعا في تضمين هذا الكتاب ، التجارب الشاملة ، والفائدة التي ابتغاها في العرض والتحليل ، فقد اردف كل فصل بتعليق موجز ، استفاده من خبرة في الصحافة زمنا ، ومن تدريسه لهذه المهنة في الجامعة الاميركية زمنا اخر تعميما للنفع ، وسخاء في العلم ، وايثارا منه على ابناء لغته الذين هم في حاجة الى رسم الطريق ، وتوضيح المعالم ، والسير على هدى وبصيرة في هذا الفن الجميل الاصيل .

وفي الحق ، ان الصحافة العربية ، لم تظفر على كثرة ما مر بها من حقب ودهور ، وما بلت من عهود واطوار بمثل هذا الكتاب الذي ارسى قواعد ، كانت الصحافة على تقدمها في هذا الزمان ، بحاجة اليها : علمية ، عملية ، تطبيقية ، حتى يكون هناك تقنين لها ، وقيم يحرص عليها المشتغلون في حقلها ، ومبادىء يترسم خطاها هذا الرعيل في كل آن وعصر .

وايا ما كان ، فهذا الكتاب : استقاء الانباء فن، الذي يعد فتحا جديدا في الصحافة ، ولمسات نابضة في هذا الفن ، ليس بحاجة الى تقديم او عرض ، او توضيح لغرض ، فالنية فيه حسنة، والتعاليم هادية ،والطريق واضحة المعالم مضيئة الجنبات ، غير ان هذا الكتاب كغيره من الكتب الواضحة المنهج ، لا يرفع من قدره ، ولا يعلي من شانه ، كتابة مقدمة لكاتب صحفي ، هو دون الكاتبين فهما لرسالته ، واقل من المترجم حبا في فنه ، وحرصا على رسالته التي تبلورت وهو يقدم لهذا الكتاب الذي ردد كثيرا من العبارات المبثوثة بين دفتي هذا الكتاب ، والرابضة بحروفها بين اسطر هذا السفر ، الذي كان يجب ان يكون بمنأى عن هذا التقديم المتهافت الذي اتجه الى العرض، دون التفنيد لقيمة الكتاب ، او الاشارة بهذا الجهود الضخم الذي احتمله ، في صبر يحسد عليه ، مترجم هذا الكتاب : الاستاذ وديع فلسطين ، الصحفي الاديب .

وما احسبني بموف هذا الكتاب حقه ، فهو اكبر من ان تلم به كلمة عابرة ، او نظرة عجلى ، وهو في غنى عن هذا العرض ، وذلك التقديم ما دام القارىء العربي على وعي متفتح ، وضمير حي ، ونفس صافية الى الاعلاء من شان العاملين في كل الميادين في صبر وصمت وجلد ، وان كانت اعمالهم هي التي تتحدث ، وتعلي من شان هذا التفكير الحر ، وترفع من قدر الوثبات التي عمل من اجلها ، وفي سبيلها هذا الكتاب الكاتب المتعمق : الاستاذ وديع فلسطين .

القاهرة

ابو طالب زيان



يحيى حقي المصور بالقلم

استمتعت بقراءة مجموعة قصص ولوحات يحيى حقي الاخيرة « عنتر وجولييت » فوجدت فيها نفس الفنان الذي عرفناه فى«قنديل ام هاشم» وانا لا احب ان اسمي يحيى حقي اديبا او قصاصا ، بل افضل تسميته فنانا ومصورا بالقلم وهو يقسم هذه المجموعة الاخيرة قسمين يسمى اولهما قصصا ، والاخر لوحات،ولكني احس انفنه هو هو فى القسمينمعا

صحيح ان الاداب العالمية ، بل وادبنا العربي الحديث ، قد عرفت لونا من تصوير الشخصيات او اللوحات البشرية منذ تيوفراست اليوناني الى لا بروبير الفرنسي ، ثم فى ادبنا العربي الحديث من مجموعة « فى المرآة » لاديبنا الفكه الخفيف الروح عبد العزيز البشري ، الى « ملامح وغضون » لكاتبنا الكبير محمود تيمور ولكنني مع ذلك احس ان ما فعله يحيى حقي بكتابة هذه المجموعة شيء فريد اصيل كل الاصالة ، حتى لاعتبره شيئا جديدا بالنسبة لكل ما قرات من اداب الشرق والغرب ، فاذا كانت القصة القصيرة فى خير تعريف لها تجسيدا لفكرة او احساس، فلوحات يحيى حقي كقصصه القصيرة لا تخلو اية واحدة منها من فكرة او احساس جسدها او على الاصح صورها بقلمه الذي لا يقل براعة واناقة عن ريشة المصور والوانه ، واما اذا كانت القصة القصيرة كما يقول البعض حكاية لها بداية ووسط ونهاية فيحيى حقي والحمد لله لا يخضع لهذا الرأي ، وخيرا يفعل . ويحيى حقي لا يلجأ فى ادبه الى خيال جامح يفتعل احداثا مثيرة يرتبها ترتيبا ، بل يكتفي بملاحظة ما حوله وليس هذا بالشيء الهين المتاح لكل انسان فما كل مبصر بصير ، وقديما قال الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو « يلزمنا كثير من الفلسفة لكي نلاحظ ما نراه كل يوم » ومعنى الملاحظةهنا هو ان نستخلص مما نراه معناه الفكري او الاحساس السليم العميق الذي يوحي به ، ويحيي حقي يملك من اتساع الثقافة ورهافة الحس ما يمكنه من ملاحظة ما يراه او يسمعه بالمعنى الفلسفي الذي يتحدث عنه روسو ، وهو فضلا عن ذلك يملك موهبة التصوير بالقلم والتلوين بذوب القلب ، كما انه يعرف وسائل الفن المرهفة الادق من البداية والوسط والنهاية ، للنفاذ الى عقولنا وقلوبنا ، وقد يستطيع بلمسة قلم بسيطة او تبدو بسيطة ولكنها عسيرة كل العسر ان يشخص ما يصوره وان يضفي عليه من ذات نفسه ما يفتح له قلوبنا ، واضرب مثلا لذلك بوصفه لفرغلي صبيالمكوجي الذي لا يصعد عمارة الارستقراطيين الا من السلم الخلفي اللولبي ، ولا يصيب من اللحم الا يوم يتأخر المعلم فى الدكان فترسل له زوجته طبق طبيخ بلحم فيدعوه لمشاركته واما قناعة هذا الصبي المحروم وحياؤه واستحياؤه وكل تلك المعاني النفسية المؤثرة فيصورها يحيى حقي بهمسة قلم موجزة مركزة ، ولكنها ماضية كحد السيف وكاشفة كوهج الشمس حيث يقول بعد ذلك : « ليتك تراه وهو يغمس اللقمة بحياء من حافة الطبق،لا يهبط بها الا الىمنتصفها»وهذا هو معنى الفلسفة فى ملاحظة ما نراه ، ومعنى القدرة على اختيار اللمسة الدالة ثم القدرة على التعبير الملون بما سميناه ذوب القلب .

ويحيى حقي رغم رهافة حسه وشاعرية روحه ونفاذ سخريته التي يسميها نقاد الغرب « هيومر » لانها اكثر رهافة ودقة من السخرية او التهكم او النكتة لا يسرف فى استخدام اي من هذه الملكات ، بل يوازن بينها ان لم نقل يمزج بينها مزجا دقيقا متوازنا فلا اسراف فى عاطفة ولا غلظةفى سخريةولا شعشعة فى شاعرية ، ومع ذلك يعرف مداخل النفوس وكيف ينفذ اليها من ايسر السبل واعمقها فنا وتعتبر قصة « عنتر وجولييت » من اروع الامثلة لهذا الفن الممتاز . فعنتر وجولييت كلبان احدهما وهو عنتر لاسرة فقيرة تسكن السطوح ولكنها سعيدة وبوصف حياتها وحياةعنتر معها او على الاصح تصويرها، استطاع يحيى حقي ان يحملنا على حبها والتعاطف معها وحب عنتر كلبها بقدر ما استطاع ان ينفرنا من حياة الاسرة الغنية المحبوسة فى قصرها هي وكلبتها جولييت ، ثم اصطاد بوليس البلدية الكلبين فى عربة الكلاب الضالة ، واستطاعت الاسرة الغنية فى سهولة ان تسترد كلبتها جولييت واما الاسرة الفقيرة فلم تستطع . ويكتفي يحيى حقي فى تصوير مشاعر ربة الاسرة الفقيرة بعد ان عجزت عن استرداد كلبها بقوله : « رفعت وجهها للسماء فرات الليل يطبق على الارض .. واغرورقت عيناها فاخرجت منديلها ووقفت تمسح دموعها » . واما الثورة التي كان من الممكن ان يشعلها الكاتب فى قلب هذه السيدة ضد الظلم من المحاباة او الصراخ والعويل العاطفي على كلبها الحبيب عنتر فقد سكت عنه يحيى حقي الفنان المتوازن الملكات الذي يعرف ان الاشارة قد تكون ابلغ من الافصاح وان الدمعة الواحدة قد تكون انفذ الى القلوب من سيل من الدموع . ومن المؤكد ان يحيى حقي قد عرف مع ذلك كيف يحملنا نحن القراء على ان نشعل تلك الثورة فى نفوسنا نحن ضد الظلم والمحاباة ، وبخاصة بعد ان عرف كيف يعطفنا على عنتر واسرته ، وكيف ينفرنا من جولييت واسرتها الغنية الكئيبة ، وهذا هو الفن الذي قد لا يعرف بداية ووسطا ونهاية ، ولكنه مع ذلك يعرف اسرار النفوس ومسارب القلوب ، ويصل باوجز الالفاظ او الخطوط والالوان الى اعماق نفوسنا .

وانا ازعم بعد ذلك ، وقبل كل ذلك ان يحيى حقي فنان مصور لا سارد حكايات ، بل وازعم انه عندما يجنح الى السرد يفلت الزمام من يده على نحو ما فعل فى قصة « سوسو » اي الطفل الصغير محسن عندما ترك فنه التصويري الى السرد القصصيفاذا به يحكي لنا مغامرات الشباب بين الراوي ووالد محسن صديقه ، ليعود بنا بعد ذلك الى ماساة الطفل محسن الذي سقط من بين يدي الراوي من الدور الرابع يوم الاحتفال بعيد ميلاده فمات ، ولم اتبين الفكرة او الاحساس الذي اراد الكاتب تجسيده بهذه القصة . فى حين احسست بقوة بفكرة الاطماع النفسية فى اللوحة التي صور فيها المؤلف قصة موظف جاء الى رئيسه خائفا ملتاعا من ان يكون اسمه فى القائمة السوداء التي تقرر فصلها من العمل . وهو يضرع لرئيسه ان ينقذه من هذه الكارثة معلنا انه موظف سعيد قانع كل امنيته ان يبقى فى عمله وان يستمر فى قبض راتبه الذي يعيش منه هو واسرتهحتى اذا طمأن الرئيس موظفه الملتاع بانه ليس فى القائمة السوداء ، واطمأن الموظف الى ذلك رأينا اطماع النفس تطل براسها فيطالب الموظفرئيسه بان يرقيهالىوظيفة مدير مصلحة بعد انخلت هذه الوظيفة من شاغلها قائلا : « انها مسألة كرامة ، ثم انت لا تخفى عليك شدة الازمة ، وامرأتي تقرعني صباح مساء بقولها : متى تشتري لنا كبقية الناس ثلاجة ؟ »وانا ازعم ان هذه قصة لا لوحة لانها تجسد فكرة بل افكارا واحاسيس ، وهي عندي من وجهة النظر القصصية الخالصة خير من قصة « سوسو » وهكذا يتضح معنى قولنا ان يحيى حقي فنان مصور لا اديب قصاص .

ونحن على اية حال نفتقر الى الفنان المصور بالقلم اكثر من افتقارنا الى الاديب القصاص ، فلدينا من هذا الصنف الاخير ـ الكثير . واما الفنان المصور بالقلم فى مستوى يحيى حقي فانذر من النادر .

وكنت اريد ان اناقش اسلوب التعبير اللغوي عند يحيى حقي وطريقة استعارته لبعض الالفاظ والتراكيب العامية لغاية فنية خاصة فريدة فى ادبنا العربي المعاصر ، ولكن انى لي بالحيز الذي يسمح بذلك وهذه النقطة بالذات تحتاج الى مقال خاص ارجو ان اكتبه عن مشكلة التعبير اللغوي بوجه عام واهداف طرائق التعبير المختلفة عندكتابنا المعاصرين .
(الجمهورية)

القاهرة — محمد مندور

•

قصصنا بين الواقعية والشطحات

نشات مذاهب الادب تبعا لتطور المجتمعات وانتقالها من حال الى حال ، فكانت الواقعية فى المجتمع الذي شعر بنفسه واراد ان يصنع حياته — ثورة على الرومانسية الموغلة فى الهرب والبعد عن الحياة .

وعندما اتصلنا بالادب الغربي فى نهضتنا الادبية الحديثة كان مجتمعنا تتحكم فيه قوى غريبة ظالمة ، فاخذ ادباؤنا بالرومانسية التي كان الغرب قد اجتازها الى الواقعية .

وخلال انتفاضاتنا التحررية بدا ادبنا فى مواجهة الواقع شيئا فشيئا حتى بلغنا الان بعد الثورة قمة هذه المواجهة .

وكانت دعوة الواقعية الاولى ، ولا تزال ، تتضمن مجانبة الايغال فى الخيال البعيد ، والاتجاه الى تصوير الحياة الطبيعية بما فيها من الصراع فى سبيل العيش ، وترجمة حقائق الحياة الجارية الىظواهر جمالية تحرك النفس وتلهمها وتدفعها الى التقدم .

وحتى عندما انحرفت الواقعية — فى بعض الاوقات — الى الحوادث الغريبة ووصف البشاعات والشذوذ ، فان رواد الواقعية السوية السليمة قاوموا هذا الاتجاه وساروا بها فى مجرى الحياة العادية ، كتب تشيكوف يقول : « ان الناس لا تذهب الى القطب الشمالي وتسقط من فوق جبال الثلج ، انما هم يذهبون الى اماكن اعمالهم ويتناولون حساء الكرنب » .

وقاوم ذلك الاتجاه عندنا ابراهيم عبد القادر المازني اذ قال فى كتابه « حصاد الهشيم » :

« ان القدرة الفنية ليست فى الاغراب وتكلف المحال والاتيان بما لا يكون ، ، بل فى حسن اختيار التفاصيل المميزة ، وانه من افحش الغلط ان يتوهم المرء ان الفه الشيء يجعل تناوله اسفافا ونبذه سموا » .

وانتاجنا القصصي الجديد ، وخاصة ما كتب بعد الثورة ، يجري على الواقعية السليمة المشكلة باهداف مجتمعنا الجديد ، فهو يعمل على تصوير هذا المجتمع ويشخص امراضه ومشاكله ويبرز ملامحه الاصيلة .

واعتقد ان ذلك كله معروف ، وما كان يستحق الكتابة لولا ان قرأت اخيرا فى مجلة الشهر مقالا للاستاذ يحيى حقي فى نقد قصة «المستحيل» لمصطفى محمود ، قال فيه :

« المستحيل قصة جوانية ، عمودها الرئيسي النفس والشعور وهموم الروح ، وهذا نوع جديد نفتقر اليه رغمزعمنا اننا اهل الشرق امناء على تراث روحاني لا مادي . انه يفسح المجال الضيق الذي يحبس قصصنا فيه اقتصار على العالم الدنيوي اما برصد تطور انظمة اجتماعية واثار تحولات اقتصادية ، وهذا هو سبب اتهام هذه القصص بانها غارقة في محلية منعزلة لها ظروفها الذاتية التي تفقد دلالتها عند الترجمة » .

وقد ردد الاستاذ يحيى حقي هذا المعنى فى عدة مجالات . سمعته فىندوة بنادي القصةيناقش مجموعة «رسالة الىامرأة» ليوسف الشاروني فياخذ عليها ان موضوعاتها كلها تدور حول المسائل المادية او « تقتصر على العالم الدنيوي » .

وسمعته فى حديث اذاعي يعيب اتجاه القصص الى تصوير احوال المعيشة وضرورات الحياة العادية دون ان تتجه الى البحث عن نماذج روحيةوتهتم بمطالب الروح البعيدة وصراع الانسان مع القدر.. وما الى ذلك.

ويحيى حقي استاذ كبير يتتبع الحركة الادبية المتجددة بعناية وعطف وحب ، ويقو مبدور عملي منتج فى مجال النقد ، بعيدا عن الجدل العقيم الذي دار اخيرا بين النقاد ، ولم يخرج عن ترديد اراء ومذاهب قديمة .

ولا يمنعني تقديري للاستاذ حقي من مناقشة ما اخالفه فيه :

« هل يريد يحيى حقي ان نولي ظهرنا للواقعية ونعود الى الشطحات الرومانسية ؟ لقد اعلن ابو الواقعية « زولا» موت الانسان الميتافيزيقي وقال : « ان اهم ما اهتم به هو الجانب الفزيولوجي » .

العالم الدنيوي وترصد انظمة اجتماعية وتحولات اقتصادية . ومع ذلك

وكتب زولا ومن تلاه من الكتاب الواقعيين قصصا تدور حوادثها في العالم الدنيوي وترصد انظمة اجتماعية وتحولات اقتصادية ومع ذلك بقيت خالدة منتشرة فى العالم الواسع ، وترجمت الى مختلف اللغات ولم تفقد دلالتها . والتراث الانساني حافل بروائع القصص التي تصور السمات المحلية وتنفذ من خلالها الى الشمول الانساني . والواقع ان المحلية المنعزلة لا ياتي انعزالها من محليتها ، وانما ياتي من السطحية وضيق الافق فى المعالجة وقد استطاع عبد الرحمن الشرقاوي فى مسرحية « جميلة » ان ينفذ الى الانسانية الشاملة بتصوير التعاطف بين افراد من الفرنسيين والجزائريين ، وذلك برغم ان المسرحية وطنية تقوم على تمجيد الكفاح العربي فى الجزائر ضد الوحشية الفرنسية .

وبرغم ما يعيبه الاستاذ يحيى حقي على القصص الحديثة من اتجاهها الى احوال المعيشة ، وبرغم دعوته الى الاهتمام بالمسائل الروحية ، نراه فى نقده لقصة المستحيل يكشف عن عيب فى الاتجاه الروحاني ، اذ ياخذ على المؤلف انه اغرق البطل فى الهموم والاحزان وبدأ به يائسا شقيا وانتهى به كذلك .. كأن الانسان لا حيلة له فى صنع مستقبله ولا فائدة لسعيه فى الحياة .

ولو نظرنا الى بعض القصص الواقعية التي تعالج مثل هذا الموقف علاجا واقعيا ، فاننا نجد فى قصة « لا تطفىء الشمس » لاحسان عبد القدوس بطلا يبدأ بحيرة تشبه حيرة بطل المستحيل ، ولكن الاستاذ احسان اخذ بطله من يده وسار به فى ضوء الشمس بعيدا عن الضباب حتى انتهى به الى حياة واقعيةوجد فيها نفسه ومثله وحياته ، ولم تنطفىء الشمس .

وقريب من دعوة الاستاذ يحيى حقي ما عبر عنهتشيكوف بقوله فى بعض كتاباته « دعني اذكرك بان الكتاب الخالدين ، او على الاقل ذوي الموهبة، الذين يهزون نفوسنا ، لديهم سمة مشتركة بالغة الاهمية ، هي انهم يتجهون الى شيء ، وانهم يدعونك اليه ايضا ، وانت تحس — لا بعقلك وانما بكيانك كله — ان لديهم هدفا ، بعضهم لديه اهداف مباشرة كالقضاء على الاقطاع وكتحرير البلاد وكالسياسة او الجمال او مجرد الفودكا .. واخرون لديهم اهداف بعيدة كالله وكالحياة بعد الموت وكسعادة البشرية ، وهكذا » .

ولكن تشيكوف لا يطالب — كما يفعل يحيى حقي — بالاهداف البعيدة عن مجرى الحياة الواقعية ، بل هو على العكس يجعل الاهداف القريبة فى مقدمة ما يهز نفوسنا من الادب ، ومن شاء بعد ذلك ان يتجه الى الامور البعيدة فليفعل .

ومهما يكن من شيء فاننا امام حقيقة ماثلة لا يمكن التغاضي عنها ، وهي ان كتاب القصة الان يشعرون بما يضطرب فى مجتمعنا من الرغبة فى العيش الكريم والحياة الفضلى ، فهم يعبرون بصدق عن اهتمامات المجتمع . وليس مما يتفق مع صدق التعبير ان نحمل الكتاب على ان يعبروا عن اشياء لا وجود لها فى وجدانهم ، وكل شيء فى الحياة يصلح للتناول الادبي ما دام موضعا لانفعال الاديب وتاثره . وليس هناك موضوعات معينة تصلح واخرى لا تصلح . والاديب الصادق الذي يهز نفوسنا — على حد تعبير تشيكوف — هو الذي يعبر عن اهتمامات عصره ويضيف اليها من نفسه وثقافته ما يقومها ويطورها ، لا الذي يبحث عن مجالات بعيدة طبقا لمواصفات معينة . (وطني)

القاهرة — عباس خضر



مـايـو ١٩٦١

١٦ ـ اقيل في ايران ٣٣ جنرالا و٢٧٠ عقيدا.

ـ وصل الدكتور سوكارنو الى القاهرة وعقد اجتماع ثلاثي حضره عبد الناصر وسوكارنو واحمد توري .

ـ بدأ مؤتمر لاوس فى جنيف واقترح اللورد هيوم اعلان حياد لاوس .

ـ المجلس العسكري يعتقل حكومة كوريا الجنوبية بعد الانقلاب ويعلن انه ضد الشيوعية وصديق لاميركا .

ـ اعتقل جيزينغا رئيس حكومة ستانلي فيل ٧ من الوزراء وضباط الجيش . طلب همرشولد من سلطات الكونغو اطلاق سراح جميع الزعماء السياسيين المعتقلين فورا .

١٧ ـ صدر بلاغ عن محادثات عبد الناصر وتوري بتأييد حرية افريقيا وكفاح فلسطين والجزائر .

ـ اعلنت حكومة الجزائر ان كريم بلقاسم سيرأس وفدها الى مفاوضات ايفيان .

ـ اتسعت حركة الاعتقالات فى ايران . وسافر الشاه والامبراطورة الى نروج فى زيارة رسمية .

ـ توصلت وفود لاوس اليمينية والحيادية والشيوعية الى اتفاق مبدئي على تشكيل حكومة ائتلافية .

١٨ ـ استقالت حكومة كوريا الجنوبية وتألفت لجنة عسكرية تدير دفة الحكم . اعترف الغرب بالنظام الجديد فى كوريا نظرا لبقاء رئيس الجمهورية فى منصبه .

ـ قدمت الجمهورية العربية الى غينيا قرضا بستة ملايين جنيه .

ـ عرض كاسترو على اميركا مبادلة الاسرى مقابل جرارات زراعية .

١٩ ـ صدر بلاغ فى وشنطن وموسكو يعلن ان كنيدي وخروشوف سيجتمعان يومي ٣ و٤ يونيو المقبل فى فينا .

ـ استقال رئيس جمهورية كوريا الجنوبية بوصن يون . وقامت اللجنة الثورية بحملة تطهير واسعة واعتقلت الف شيوعي .

ـ اقر مؤتمر كوكيلهاتفيل مقترحات دستورية بتحويل الكونغو الى جمهورية اتحادية .

٢٠ ـ بدأت فى ايفيان المفاوضات الفرنسية الجزائرية . اعلنت فرنسا وقف اطلاق النار فى الجزائر لمدة شهر . اعلنت حكومة الجزائر الاحتفاظ بحريتها .

ـ شكل صائب سلام الوزارة اللبنانية الجديدة

ـ سحب رئيس جمهورية كوريا الجنوبية استقالته وعين الجنرال شانغ دو يونغ زعيم الانقلاب نفسه رئيسا للوزراء .

٢١ ـ قال علي اميني ان ايران ستنفذ ارتباطاتها الدولية ولا تنوي الانسحاب من الحلف المركزي .

٢٢ ـ دعا الملك سعود السفراء العرب للاجتماع واطلعهم على مضمون الرسالة التي تلقاها من كنيدي بشأن فلسطين .

ـ وقعت اضطرابات بين البيض والزنوج فى عاصمة ولاية الاباما .

ـ اعلن سيهانوك رئيس كمبوديا انه اخفق فى مسعاه لتحقيق جمع زعماء الاطراف اللاوسية المتنافسة الثلاثة لاجراء محادثات لتشكيل حكومة ائتلافية .

٢٣ ـ قوة مضادة للطائرات تعزز حراسة ايفيان حيث تجري المحادثات الفرنسية الجزائرية .

ـ توصل زعماء الكونغو فى مؤتمرهم الى اتفاق بشأن توزيع عائدات المناجم بالتساوي بين الحكومة المركزية والمقاطعات .

٢٤ ـ وصل بن غوريون الى كندا ، صرح ان التوتر خف فى الشرق ولكننا ما نزال بحاجة الى مساعدة .

ـ وصل الملك بودوان والملكة فابيولا باريس

٢٥ ـ تم عقد قران الملك حسين والانسة منى الحسين .

ـ دعا اللواء قاسم العراقيين الى مقاطعة المنتجات الاجنبية واكد ان العراق سينتصر فى معركة النفط ، وقال اننا لن ننحاز الى اية كتلة .

ـ قبلت بون تدريب قواتها فى بريطانيا وعقد شتراوس وزير الدفاع صفقة اسلحة تشتري المانيا الغربية بموجبها مدافع بريطانية قيمتها ٥٦ مليون دولار .

ـ ردت اميركا طلب الجنرال دويونغ شانغ رئيس الوزارة العسكرية فى كوريا الجنوبية ، لزيارة واشنطن بحجة سفر كنيدي الى فيينا.

ـ اكد نهرو استقالة راجشوار دايال من منصب ممثل الامم المتحدة الخاص فى الكونغو وقال انها لن تؤثر على تأييد الهند للعمليات الدولية فى الكونغو .

٢٦ ـ أعلن جوكس رئيس الوفد الفرنسي فى محادثات الجزائر ان فرنسا لا تريد تقسيم الجزائر ، وقال ان الاستفتاء غير ممكن قبل وقف القتال .

ـ قصفت الطائرات الباكستانية مراكز المدفعية الافغانية لفتحها نيرانها على طائرات باكستانية قرب الحدود .

ـ وافق مجلس الثورة العسكري فى كوريا الجنوبية على اعادة وضع القوات المسلحة تحت اشراف قائد قوات الامم المتحدة الجنرال ماغردر .

٢٧ ـ عاد وفد الاسرى من الولايات المتحدة الى كوبا يحمل تعهدا من لجنة اميركية مسؤولة بارسال ٥٠٠ جرارة زراعية الى كوبا للافراج عن اسرى الغزو .

ـ اذاعت اميركا فى جنيف بيانا اعلنت فيه ان الشيوعيين خرقوا الهدنة ٣٠ مرة على الاقل فى لاوس لاحراز مكاسب سياسية عن طريق العنف .

٢٨ ـ اعلن رسميا فى فيلادفيا ان مجموع التبرعات عن طريق بيع السندات الاسرائيلية خلال العشر سنوات الماضية بلغ ٤٩٥ مليون دولار تقريبا .

٢٩ ـ جرى فى لندن افتتاح الجمعية السابعة لاتحاد غرب اوروبا . قال ماكميلان نحن نؤمن بأن اوروبا يجب ان تكون متحدة .

ـ بدأت فى باريس محاكمة الجنرالين شال وزيلر على دورهما فى حركة التمرد التي وقعت فى الجزائر .

ـ اعلن اديناور انه يريد اسلحة نووية للقوات الالمانية ولقوات حلف الاطلسي .

ـ نقل تشومبي الى ليوبولدفيل ووضع فى معسكر حربي بالضواحي تمهيدا لمحاكمته .

٣٠ ـ اوصى اتحاد غرب اوروبا بتنظيم مؤتمر افريقي اوروبي على مستوى الحكومات

ـ قطعت الجمهورية العربية علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب افريقيا .

ـ تم اجتماع كنيدي وبن غوريون فى نيويورك .

٣١ ـ وصل كنيدي الى باريس وبدأ محادثاته مع ديغول التي تستغرق ثلاثة ايام.

ـ اغتيل الجنرال رافايل تروهيلو رئيس جمهورية الدومينيك .

ـ قضت المحكمة العسكرية الخاصة فى باريس بسجن الجنرالين شال وزيلر ١٥ سنة.

ـ اكتشفت حكومة روميلو بيتانكور مؤامرة لقلب نظام الحكم فى فنزويلا فسحقتها .

ـ على اثر زيارة اللورد هيوم لمدريد صدر بيان مشترك يعلن ان بريطانيا واسبانيا تودان تحسين علاقاتهما والمساهمة فى تضامن اوروبا وسلام العالم .

يونيو ١٩٦١

١ – اعلنت القوات الدولية في ليوبولدفيل ان جنود الكونغو في اقليم كيفو صرعوا اكثر من ١٠٠ رجل من قبيلة باشي واحرقوا عدة قرى في منطقة نياغيزي .

٢ – وصل بن غوريون الى لندن واجرى محادثات مع ماكميلان .

– شكل الملك حسن الوزارة المغربية ولم يمثل فيها الاتحاد الوطني للقوى الشعبية بسبب قراره بالبقاء في المعارضة .

– اعلنت الخارجية الاميركية ان كنيدي وبن غوريون بحثا قضية اللاجئين الفلسطينيين

٣ – بدأت في فيينا المحادثات بين خروشوف وكنيدي وقد اعرب الرئيسان عن ارتياحهما للنتائج الاولى .

– وصل مكاريوس رئيس جمهورية قبرص الى القاهرة في زيارة رسمية .

– في مفاوضات ايفيان يطالب الجزائريون بالسيادة على الصحراء ويحصر الفرنسيون الاستفتاء في الدوائر الجزائرية الـ ١٣ .

٤ – انتهت محادثات كنيدي وخروشوف وصدر بلاغ مشترك ذكر ان الرئيسين استعرضا العلاقات بين البلدين وبحثا حظر التجارب النووية ونزع السلاح ، والمانيا . واكدا تاييدهما للاوس محايدة مستقلة ووافقا على استمرار الاتصال بينهما .

– قال بيان اذاعه راديو القاهرة ان حملات الاتحاد السوفياتي ضد الجمهورية العربية لن تقابل بالصمت .

٥ – اعلنت الدومنيك ان الجنرال خوان توماس دياز المتهم بتدبير مؤامرة اغتيال الجنرال تروهيلو قتله رجال الامن .

– توفي في القاهرة الزعيم الوطني مكرم عبيد رفيق سعد زغلول .

– عاد خروشوف الى موسكو واستقبل سوكارنو الذي يزور الاتحاد السوفياتي .

– افتتح في القاهرة اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر الدول غير المنحازة .

– اعلن كنيدي وماكملان في بلاغ صدر عقب محادثاتهما في لندن اتفاقهما التام على ضرورة المحافظة على حقوق الغرب في برلين .

٦ – رحب تيتو باجتماع كنيدي وخروشوف في فيينا لكنه حذر قائلا : ان الدول الكبرى لا تستطيع ان تقرر مصير البشرية بمفردها .

– اعلنت امريكا ان قوات باتيت لاو الشيوعية شنت هجوما شديدا بالمدفعية على معقل الحكومة اليمينية في بان بادونغ .

– عقد بن غوريون محادثات مع ديغول بعد وصوله الى باريس قادما من لندن .

٧ – تازم الموقف بين امريكا وروسيا . امريكا تعتبر الهجوم الشيوعي في لاوس خطيرا بعد محادثات فيينا . احتل الشيوعيون بلدة بان بادونغ . الغرب يستنكر الخرق ويلغي جلسة مؤتمر جنيف .

– طلبت كاتانغا من الامم المتحدة تزويدها بـ ٣٠٠ ضابط يحلون محل الاوروبيين في قيادة قواتها . وفي ستانلي فيل صرح جيزينغا انه مستعد لاجراء مفاوضات مع اعدائه لبحث عودة البرلمان وترك للامم المتحدة اختيار المكان

– قال كنيدي في اذاعة للشعب الاميركي ان محادثاته مع خروشوف لم تسفر عن نتائج مهمة لكنها كانت مفيدة .

٨ – اعلنت حكومة بوليفيا انها اعتقلت ٦٠ زعيما نقابيا شيوعيا عندما فشلت محاولة للقيام بثورة شبيهة بثورة كاسترو .

– اعلن هاشم جواد وزير خارجية العراق ان رسائل كنيدي الى بعض رؤساء الدول العربية تتعلق بقضية اللاجئين . واكد الوزير ان العراق يرفض توطين اللاجئين الفلسطينيين

– وافقت حكومة المغرب على دستور مؤقت يعمل به الى ان يتم اعداد دستور دائم .

– تأجل مؤتمر جنيف . امريكا تنذر بالمقاطعة اذا لم يوقف القتال تماما في لاوس .

٩ – دعا مجلس الامن البرتغال الى وضع نهاية عاجلة لاجراءات القمع في انغولا .

– اعلنت اسرائيل ان ما صدرته من الاسلحة والاعتدة الحربية والطائرات بلغت قيمته في العام الماضي ٨ ملايين دولار .

– ارسلت روسيا مذكرات الى الدول الغربية لمنع عقد اللجان البرلمانية الالمانية الغربية في برلين . رد الغرب مصرا على عقد الاجتماعات .

– اعلن في القاهرة ان مؤتمر رؤساء الدول غير المنحازة سيعقد في اول سبتمبر المقبل في يوغوسلافيا .

١٠ – عقد مجلس الدفاع العربي بالقاهرة ويحضره وزراء الخارجية والدفاع العرب .

– صدر بيان مشترك عن محادثات ناصر ومكاريوس ، يؤكد اتفاقهما على قضية فلسطين والجزائر والتعاون بين قبرص والمتحدة .

١٢ – وصل القاهرة محمد كيتا رئيس جمهورية مالي .

– استؤنفت المفاوضات بشأن لاوس في جنيف . اعلن في واشنطن ان القوات الشيوعية احتلت مراكز جديدة في منطقة بان بادونغ ونقل الاسلحة السوفياتية الى تلك القوات ما زال مستمرا .

– اعلنت الامم المتحدة تقديم ١٨ مليون دولار لمساعدة الكونغو . ستقدم امريكا نصف المبلغ . اعلن همرشولد ان المرحلة الحرجة بالكونغو قد انتهت .

١٣ – اعلن في ايفيان تعليق مفاوضات الجزائر مدة ١٠ او ١٥ يوما بعد ان اخفق الوفدان في الوصول الى اي اتفاق . صرح الجزائريون ان الوفد الفرنسي علق المفاوضات من جانب واحد .

– انضم المغرب لمعاهدة الدفاع المشترك العربية

– وصل سوكارنو بكين في زيارة رسمية للصين الشعبية . صدر بلاغ سوفياتي اندونيسي مشترك عن المحادثات التي اجراها سوكارنو في موسكو .

– صدر بلاغ مشترك في واشنطن عن المحادثات التي اجراها رئيس جمهورية ايطاليا فانفاني مع كنيدي ينص على تعزيز الاطلسي والوحدة الاوروبية .

١٤ – اذاعت الانباء الغربية عن محاولة فاشلة قام بها ٤ جنرالات لقلب نظام الحكم في بلغاريا .

١٥ – القى خروشوف خطابا عن الوضع الدولي ومحادثاته مع كنيدي وطلب ان تحل مشاكل اوروبا هذا العام وعلى راسها مشكلة برلين .

– مددت فرنسا وقف الهجوم في الجزائر الى اجل غير مسمى . وقررت مواصلة وتوسيع الاجراءات الخاصة باطلاق سراح المعتقلين السياسيين الجزائريين .

– اعلن هاريمان رئيس الوفد الاميركي الى مؤتمر لاوس في جنيف ان السلاح الشيوعي يصل باستمرار الى لاوس وان قوات من فيتنام الشمالية اشتركت في الهجوم الاخير .

– اعلن في ليوبولدفيل ان المحادثات بين الحكومة المركزية وحكومة جيزينغا قد اسفرت عن الوصول الى اتفاق .

١٦ – قال اللورد هيوم الذي يزور امريكا ان الروس مستعدون لتعريض السلام العالمي للخطر باثارتهم قضية برلين .

– جدد الشيوعيون الهجوم في لاوس وانسحب وفد الحكومة من مفاوضات جنيف .

– اتهم الجنرال موبوتو سفارة اجنبية بمحاولة اغتياله واعتقل ٤٠ جنديا اشتركوا بالمؤامرة .

١٧ – وصل تونس رئيس الوفد الجزائري في مفاوضات ايفيان لاجراء مشاورات مع اعضاء الحكومة الجزائرية .

– كنيدي يقول في مذكرة شديدة الى السوفيات . ستتحمل روسيا وحدها فشل محادثات حظر التجارب النووية .

– وجه اديناور نداء الى خروشوف لايجاد حل لمشكلة المانيا المجزأة عن طريق انتخابات حرة .
